وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثلجيي الأغواط

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

الموضوع:

الحياة الثقافية في الجزائر خلال عهد الدايات

1671 - 1830م

مذكرة مكملة لنيل شهادة ما ستر في التاريخ

تخصص : تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد :

-إحسان مباركة حشاني

- فاطنة العمارية شيبوطي

إشراف الدكتور:

- محمود علالي

علالي محمود.....مشرفا

بوقرين عيسى.....مناقشا

قفاف عبد الرحمن.....رئيسا

السنة الجامعية

2017/2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطبيب الآخرة إلا بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

نحمد الله ونشكره على نعمته وتوفيقه لنا في إنجاز هذا العمل المتواضع العلي العظيم الذي أحاطنا برعايته من كل جانب ووفقنا إلى كل خير.

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الدكتور "**علالي محمود**" الذي كانت توجيهاته نبراسا يضيء لنا طريق المضي نحو الأفضل كما لا ننسى الأستاذ الكريم الذي لم تبخل علينا بنصائحه وإرشاداته ونشكره جزيل الشكر الأستاذ "عبدالرحمن قفاف.".

نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من كانت له يد المساعدة في إنجاز هذا العمل المتواضع سواء من قريب أو بعيد.

الإهـــداء

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، و الحمد لله حمدا يليق بجلال وجهه و عظيم سلطانه

أحمدك على إنعامك ، وأشكرك على إكرامك .

أهدي خالص عملي و جهدي لله أولا و آخرا ظاهرا و باطنا على ما من به من عون و توفيق في إتمام هذا العمل

و أصلي و أسلم على البشير والسراج المنير سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم.

إلى بابي الجنة التي فتحهما الله لنا و أوصانا بالوالدين إحسانا

إلى من حملتني وهنا ،و وضعتني وهنا ، وكانت لي ضياءا و نورا ، رحمة و حنانا و صبرا وزرعت فيا معنى الإرادة و التحدي أمي الغالية.

إلى من أحببته حتى النخاع وشد قلبي من مجمع الشغاف ، إلى رمز العطاء أبي الغالي .

إلى عمود البيت إلى سندي في الحياة أخي أحمد الشايب

إلى أجمل الورود التي أضاءت بهجة في أرجاء البيت إلى رياحين قلبي أخواتي الحبيبات سمية ، ليلى ، و نورالهدى

إلى برعمين : أميرة ، يوسف .

إلى الأهل و الأقارب خاصة عماتي و خالاتي

إلى التي رافقتني طوال مشوارنا الدراسي ، إلى من تقاسمت معي عناء هذا البحث إلى صديقتي و أختي :

شيبوطي فاطنة عمارية

إلى رفيقات و أخوات أنجبتهم لي الأيام أخص بالذكر : أسماء ،كريمة ، سميرة ، مامة ، رشا.

إلى كل من أهداني نصيحة يوما ما ، إلى كل من ساعدني

إذن إليهم جميعا أهدي هذا البحث

إحسان

إهداء

إلى أمي وأبي حفظهما الله ورعاهما

الى زوجي الذي ساندني احمد بومقواس

إلى كل عائلتي كبيرا وصغيرا

إلى من عاشوا معي الحدث لحظة بلحظة رشا ,أسيا , فاطـ

مباركة ,كريمة .

إلى زملائي في القسم سنة2 ماستر تاريخ المغرب العربي

الحديث والمعاصر الفوج3

إلى رفيقتي في العمل "إحسان"

إلى كل من يحمل لقب شيبوطي وبن الصحراوي ،بومقواس.

قائمة المختصرات

ت: تحقيق

تر : ترجمة

ج : جزء

دت : دون تاريخ

دط : دون طبعة

ط : طبعة

ص :صفحة

م : مجلد

P : page

R.A : Revue Africaine

مقدمة

ارتبط اسم الجزائر بالدولة العثمانية منذ سنة 1518م ، وهي السنة التي أصبحت فيها الجزائر أول ايالة عثمانية في شمال إفريقيا بعدما ألحقت رسميا باسطنبول ، وتم بموجب ذلك تعيين خير الدين بربروس كأول حاكم عثماني في الجزائر و أخذ لقب بيلر باي ، إلى أن استبدلته الدولة العثمانية بنظام الباشوات سنة 1588م إلى غاية 1659م ، ليخلفه نظام الأغوات 1659م/1671م ، ثم ليخلفه نظام الدايات الذي تواصل إلى غاية نهاية الوجود العثماني بالجزائر سنة 1830,يتضح من خلال ذلك أن الفترة المتعلق بها بحثنا هي 1671م/1830م .

تعتبر فترة حكم الدايات(1830.1671م) أطول فترة حكم ، بالرغم من استقلالية القرار والسلطة بالجزائر بقيت الرعاية الشرفية العثمانية للجزائر التي كانت مرتبطة شكليا باسطنبول ، كان دور الدولة العثمانية في هذه المرحلة هو إصدارها للفرمانات ، وتولية الداي والمصادقة على تنصيبه فقط لا أكثر .

يعود تقسيم الجزائر جغرافيا الى حسن باشا بن خير الدين (1544م/1533م) واستمر الى غاية نهاية الحكم العثماني بالجزائر سنة 1830م وهذه الأقاليم هي :

- بايلك دار السلطان : من جبال القبائل وواد سباو شرقا الى واد مسلمون غربا ويضم الجزائر العاصمة ، بليدة ، قليعة ، شرشال .
- بايلك التيطري : عاصمته المدية .
- بايلك الشرق : وهو القسم الشرقي من الوطن يشمل النمامشة و القسم الشمالي الذي يمتد من عنابة الى بجاية والقسم الغربي يشمل سطيف وجبال البيبان والقسم الجنوبي المتاح للصحراء عاصمته قسنطينة .

- بايلك الغرب : يمتد من بايلك التيطري شرقا الى الحدود المغربية غربا ,والبحر الأبيض المتوسط شمالا إلى غاية الصحراء جنوبا ، عاصمته مازونة ثم معسكر سنة 1710م ثم وهران سنة 1792م .

والبايلك مقسم الى أوطان ، يشرف على هذه البايلكات بايات معينون من طرف الداي

الهدف من الدراسة :

التعرف على الوضع الثقافي في الجزائر خلال فترة الدايات من خلال المؤسسات التعليمية من مساجد وكتاتيب قرآنية ومعاهد وزوايا ومكتبات ، التعرف على العوامل المتحكمة في الحياة الثقافية ، دراسة مدى مساهمة الطبقة الحاكمة في الحياة الثقافية والتعرف على منجزاتها ، التعرف على علماء تلك الفترة والعلوم المدروسة وانجازاتهم العلمية وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة .

دواعي اختيار الموضوع :

دواعي ذاتية : ميولنا الشخصي الى دراسة تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية وخاصة فترة الدايات ، الرغبة الملحة في التعرف على الوضع الثقافي في فترة اعتبرت فيها الجزائر دولة مستقلة وذات سيادة .

دواعي موضوعية : إدراكنا لأهمية البحث في هذا المجال إذا علمنا أن معظم الدراسات التي اهتمت بالفترة العثمانية من تاريخ الجزائر ركزت على الجانب السياسي أكثر من أي جانب في حين أن تكوين صورة متكاملة عن الوضع الثقافي للجزائر والجزائريين إبان تلك الفترة لا يأتي إلا بدراسة تستوفي جميع الجوانب السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية ، الثقافية من هذا المنطلق جأت رغبتنا في إعداد هذا البحث المتواضع ، التأثر بدراسة

أبوالقاسم سعد الله ونصر الدين سعيدوني ويحي بوعزيز في الجانب الثقافي للجزائر ، محاولة التقرب من المصادر الأجنبية لمعرفة الواقع الثقافي المعاش .

وعلى ضوء هذا وجدنا أنفسنا أمام الإشكالية التالية:

- ما هو واقع الحياة الثقافية في الجزائر خلال عهد الدايات (1830/1671م)؟

وأمام عدة تساؤلات:

- ما هي أهم المؤسسات الثقافية في الجزائر خلال عهد الدايات(1830/1671م) ؟ و إلى أي مدى ساهمت في إثراء الحياة الثقافية ؟

- ما هي العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية خلال تلك الفترة (1830/1671م) ؟
- كيف ساهمت الطبقة الحاكمة في الحياة الثقافية ؟ وخاصة من خلال مؤسسة الأوقاف ؟
- أبرز رجالات الثقافة ؟ و العلوم المدروسة ؟ وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة ؟ و إنتاجهم العلمي ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على مجموعة من المصادر العربية منها والأجنبية :

المصادر العربية :

ابن ميمون ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية .

الحسن الورثلاني ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار .

أبو راس الناصري ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار .

أبو الحسن علي التمقروتي ، النفحة المسكية في السفارة التركية .

عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار .

ابن سحنون ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني .

حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة وهو عبارة عن دراسة إحصائية للجزائر قبيل دخول الاستعمار الفرنسي سنة 1830م ومختلف المؤسسات الدينية مثل الأوقاف والمساجد .

المصادر الأجنبية :

Feraud(ch) ;les anciens établissement Religieux Musulmans de Constantine

Dr Shaw ,Voyage dans la régence d'Alger

ومن المراجع نذكر:

أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1830/1500م) الجزء الأول والثاني .

نصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني .

مولاي بلحميسي ، الجزائر من رحلات المغاربة .

عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر، يندرج ضمن كتب السير والتراجم لشخصيات جزائرية من العصر القديم وحتى الحديث .

الدراسات السابقة:

أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1830/1500م) خاصة الجزء الأول والثاني تناول في هذا الكتاب مواضيع متعددة تخص تاريخ الجزائر الثقافي في العهد العثماني من خلال دراسته لأهم التيارات المؤثرة آنذاك .

سعيدوني نصر الدين والمهدي البوعبدلي ,الجزائر في التاريخ (العهد العثماني) .يعتبر دراسة شاملة للحياة السياسية الاقتصادية والثقافية للجزائر خلال العهد العثماني .

وعليه قسمنا الموضوع إلى أربعة فصول :

الفصل الأول بعنوان المؤسسات التعليمية تطرقنا إلى المساجد والكتاتيب القرآنية والمدارس ، الزوايا ، المكتبات حاولنا أن نقدم إحصاءا لها عبر جميع مناطق الايالة .

الفصل الثاني بعنوان العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية ، سياسيا اقتصاديا واجتماعيا حاولنا أن ندرس العوامل التي أثرت في الحياة الثقافية خلال تلك الفترة .

أما الفصل الثالث فجاء بعنوان الطبقة الحاكمة ومساهمتها في الحياة الثقافية قسمناه إلى مبحثين, المبحث الأول بعنوان بناء المراكز الثقافية والمساهمة في الوقف عرفنا خلاله الأوقاف (الحبوس) وبينا أنواعها مثل أوقاف مكة والمدينة وسبل الخيرات وأوقاف الأولياء والأشراف وأهل الأندلس وأوقاف الجامع الأعظم وبقية المساجد .... ومساهمة الطبقة الحاكمة في بناء المراكز الثقافية والوقف ، أما المبحث الثاني بعنوان أشهر الحكام المشجعين للثقافة المبحث الأول الداي محمد بكداش أما المبحث الثاني صالح باي تطرقنا إلى إصلاحاته وتشجيعه للثقافة في بايلك الشرق ، المبحث الثالث حول الباي محمد الكبير في بايلك الغرب .

الفصل الرابع حول أشهر علماء تلك الفترة وإنتاجهم العلمي وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة ، وختمنا بحثنا بخاتمة كنتائج توصلنا إليها من خلال الفصول

المنهج المتبع :

إن طبيعة الموضوع اقتضت أن يكون المنهج التاريخي الوصفي في سرد مختلف الأحداث التاريخية ووصفها وتصنيفها حسب تسلسلها الزمني في أغلب الأوقات وقد راعينا في ذلك ماله علاقة بالبحث ، ومزجنا كذلك مع المنهج التحليلي الوصفي لاعتباره مناسبا لذكر الشخصيات والأماكن والتواريخ .

الصعوبات :

- صعوبة الترجمة وفرز المادة من المصادر الفرنسية .

وقد حاولنا في هذه الدراسة الإلمام قدر الإمكان بأهم جوانب الموضوع لإعطاء صورة واضحة عن الحياة الثقافية آنذاك إلا أن الكمال قلما يجتمع لأحد.

01

المؤسسات التعليمية

- المساجد والكتاتيب القرآنية.
- المدارس والمعاهد .
- الزوايا .
- المكتبات

يعتبر التعليم من القواعد الأساسية التي تساعد على ازدهار الثقافة وانتشارها في المجتمع ، وقد أدرك الجزائريون أهمية التعليم ودوره البالغ في المجتمع فلهذا كانوا حريصين على تعليم أبنائهم ,وما يؤكد ذلك العدد الكبير من المؤسسات التعليمية التي كانت منتشرة في البلاد ويعود تقسيم الجزائر جغرافيا الى عهد حسن باشا بن خير الدين (انظر الملحق1 ص 81) ، فكان يوجد بالمدن الجزائرية عدد من المؤسسات التعليمية المتمثلة في الكتاتيب ، المساجد والمدارس والزوايا والمكتبات .

المبحث الأول : المساجد والكتاتيب القرآنية

المطلب الأول : المساجد

كانت المهد الأول للتعليم فمنذ العهود الأولى للإسلام كانت إلى جانب وظيفتها الدينية تقوم بوظيفة التعليم واستمرت على هذا المنوال عبر مختلف الفترات الإسلامية رغم ظهور المدارس في القرن الخامس هجري وبالرغم من الانتشار الواسع للمدارس إلا أنها لم تستطع الإنقاص من قيمة المساجد ، و إنما تعايشت معا في نشر رسالة التربية والتعليم في العالم الإسلامي[1] .

كانت المساجد أماكن لأداء الصلاة وتحفيظ القران والتعليم ، معالجة مشاكل الناس [2] إضافة إلى التحريض على الجهاد ضد العدو حيث عملت على صهر التناقضات الداخلية في تيار الجهاد فلا فرق بين عربي وتركي [3] .

---

[1] – العيد مسعود ، " *حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني* "، سرتا يصدرها معهد العلوم الإسلامية بجامعة قسنطينة عدد 3 ، 1980 ، ص 64 .

[2] – يحي بوعزيز ، "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين(20.19م)" ، الثقافة ، عدد 53، 1981 ، ص 12.

[3]– بسام العسلي ، الجزائر والحملات الصليبية (1791.1571م) ، ط2 ، دار النفائس ، بيروت ، ص 184.

وبما أن المساجد كانت بمثابة الرابطة بين الأهالي في الريف أو المدينة كثرت العناية بها فلا نكاد نجد قرية أو حيا أو مدينة من دون مسجد ، ومن بين هذه المساجد ما كان يسمى جامع الخطبة لأنها كانت تؤدى فيه صلاة الجمعة والعيدين دون غيرها من المساجد التي غالبا ما تنسب إلى مؤسسيها من سياسيون أو عسكريين أو تجار، بخلاف الزوايا التي غالبا ما تنسب إلى الأولياء الصالحين[1] .

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن بناء المساجد كان نتيجة المبادرات الفردية ,لان الدولة لم تكن تولي الاهتمام ببناء المساجد وغيرها من المؤسسات الدينية ,وكان يقوم الحكام ممن تشييد المساجد وحبس للأوقاف من مالهم و أملاكهم الخاصة كان إلا تعبيرا عن واجبهم الديني خاصة [2].

والملاحظ على حواضر الجزائر خلال العهد العثماني كثرة مساجدها التعليمية حيث انفردت كل مدينة بجامعها الأعظم , الذي يمثل مهدا للتعليم كالجامع العظيم في قسنطينة ، وجامع بجاية ، وجامع تلمسان ، والجامع الأعظم في مدينة الجزائر الذي كان خلال العهد العثماني مركزا للنشاط الديني والقضائي وكان مقرا للمفتي المالكي والمجلس العلمي ، ومنبرا للمناظرات بين العلماء [3].

هذا ويعد الجامع الكبير من أشهر مساجد الجزائر وأكثرها أوقافا ، إلا أن هذا لم يؤهله ليصبح كجامع الأزهر ، والزيتونة ، و القرويين [4] وتعد عائلة قدورة *أشهر من تولى الإفتاء به كان يضم المفتي والوكيل وإمامان للصلوات الخمس وتسع عشرة أستاذا وثمانية عشر

---

[1] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1500.1800م) ، ج1 ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1989 ، ص 245.

[2] – نفسه ، ص 247.

[3] – حسين مؤنس ، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح إلى الغزو الفرنسي ، ط1 ، دار العصر الحديث ، بيروت ، 1992م,ج 3 ، ص 351.

[4] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، ص 246.

مؤذن ، وثلاثة وكلاء واحد منهم نائب للمفتي ,ليأتي بعد الجامع الجديد مقر المفتي الحنفي الذي يعد مقام شيخ الإسلام[1]

أما قسنطينة فحسب الورثلاني الذي زارها في القرن الثامن عشر 18 ميلادي يوجد بها خمسة 5 جوامع خطبة [2] في حين أحصى بها فيرو (Feraud) [3]خمسة وسبعون مسجدا وجامعا إضافة إلى سبعة مساجد خارج المدينة وهذا الإحصاء كان عهد صالح[4] باي[5]

وبلغت مساجد عنابة سبعة وثلاثون مسجدا أشهرها مسجد سيدي مروان ,أما أشهر مساجد بجاية هو ذلك المسجد الذي بناه مصطفى باشا إضافة إلى المسجد الذي بناه احمد القلي بالقل سنة 1754م اعترافا منه بمساعدة أهلها عندما كان أغا[6]عليهم[1] .

---

[1] – عبد الجليل التميمي ، "من اجل كتابة تاريخ الجامع الأعظم بمدينة الجزائر"، المجلة التاريخية المغربية ، عدد 1980 ، 19– 20 ، ص 158.

[2] – الحسن الورثيلاني ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ,تح: محمد بن شنب ، مطبعة فونتانا ، الجزائر ، 1907 ، ص 685.

[3]- شارل فيرو مترجم عسكري فرنسي من أنشط المهتمين بدراسة وتدوين عادات وتقاليد والفلكلور الجزائري ,أدرك أهمية الدراسة الاثنوغرافية في ترسيخ الاحتلال ما من شأنه ان يغني ادرة الاحتلال عن كثير من المتاعب وحتى الخسائر التي تنجر عن الاعتماد الكلي للقوة العسكرية ....انظر محمد العربي عقون ,الانثوغرافيا الاستعمارية "شارل فيرو نموذجا "مجلة الإنسانيات , عدد 55 , 2005 , ص 28.

[4]- صالح باي ولد في أزمير بتركيا 1735م 1151هـ غادرها عندما كان عمره ستة عشر سنة استقر بالجزائر مارس عدة وظائف قبل أن يصبح جنديا شارك في عدة حملات تزوج ابنة احمد القلي وعند وفاة احمد القلي عين بايا على قسنطينة اعدم في 1 سبتمبر 1792م 1207هـ دفن مع أهله في سيدي الكتاني بالرغم من خلافاته مع أعيان المدينة احتفظ الكثير من أهالي قسنطينة بذكرى باي عادل ومسير مقتدر ويحكى أن نساء قسنطينة ارتدين الملاية السوداء حزنا عليه .... انظر جمال سويدي ، مرجع سابق ، ص78.

[5] Feraud(ch) ;les anciens établissement Religieux Musulmans de Constantine ,in **R.A** ,N 10,P130.

[6] –الأغا المسؤول عن الانباجية (الحرس الخاص) بدار الملك فهو المسؤول عن الشؤون العسكرية والمدنية ولا يعتبر قائد الجيش وإنما قائد المدينة يشرف على عدد من الشواش منهم خوجة الباب يعين لمدة سنة واحدة خلاف أغا الجيش الذي يعين لمدة 3اشهر ينفرد الأغا بقصر وسط المجمع العسكري .....انظر الأمير بوغداده ، المؤسسات في الجزائر أواخر

كما عرفت حواضر الغرب الجزائري مساجد متعددة ففي معسكر نجد ثلاث مساجد رئيسية (مسجد السوق، المسجد العتيق ، المسجد الكبير) ,وقد استفادت حواضر الغرب من الإصلاحات العمرانية والثقافية التي بادر بها الباي محمد الكبير الذي شيد المسجد الكبير المعروف باسمه والذي يعتبر من أروع مساجد الايالة [2] .

رغم وفرة المساجد إلا أن بعضها كان في حالة متدهورة ومنها من لم تكن له أوقاف فنجد مثلا احمد ساسي البوني [3]يشتكي خراب مساجد عنابة للداي محمد بكداش فقال "خربت المساجد وقل فيها الساجد "[4] وهو يتكلم عن إهمال الحكام عن صيانة المساجد لكن في أواخر القرن الثامن عشر ميلادي برزت محاولة البعض منهم للنهوض بأمور المساجد مثل : صالح باي في قسنطينة ,محمد الكبير في بايلك الغرب اللذان عملا على صيانتها وحفظ أوقافها التي يعود مردودها لصالح العلم والقائمين عليها .

المطلب الثاني : الكتاتيب القرآنية

العهد العثماني(القضاء أنموذجا) ، أطروحة ماجستيرفي تاريخ الجزائر خلال العد العثماني ، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة ، 2008/2007م ، ص 105.

[1] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 250.

[2] – نفسه ، ص 251.

[3]-1726.1653ماحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي البوني ,ابو العباس فقيه مالكي عالم بالحديث,ولد ببونة المعروفة بعنابة شرقي الجزائر ورحل إلى المشرق فاخذ بمصر عن عبد الباقي ابن يوسف الزرقاني ,وأبي زكريا يحي بن محمد الشاوي المليانى ,عاد الى الجزائر واخذ عنه جماعة من العلماء منهم عبد القادر الراشدي القسنطيني له كتب كثيرة "فتح الباري في شرح غريب البخاري"," الثمار المهتصرة في مناقب العشرة "،"الإعانة على بعض مسائل الحصانة "،"الظل الو ريف في الحث على العلم الشريف "،"إتحاف الأقران ببعض مسائل القران ".....انظر عادل نويهض,مرجع سابق ,ص 50.

[4] – ابن ميمون ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تح: محمد بن عبد الكريم ، ش .و .ن .ت ,د د ن ,د ط ، الجزائر ، ص115– 116 .

الكتاب أو المسيد هو تصغير لكلمة مسجد [1]كانت بمثابة مرحلة التعليم الاولى او المدرسة الابتدائية في عصرنا الحاضر ,يسمى في الريف الشريعة لأنه تدرس به الشريعة أما المدينة فيسمى مسيد [2] أسست لتجنيب المساجد ضوضاء الأطفال والحفاظ على نقاوتها [3].

خصص الكتب لحفظ القران وتعليم القراءة والكتابة وبعض مبادئ الحساب [4]وكان عدد المتمدرسين في الكتاب الواحد بين خمسة عشر وعشرين صبيا يقضون في الكتاب ثلاثة أو أربعة أعوام [5].

وللذين يرغبون في مواصلة الدراسة يبقوا سنين أخرى لحفظ القران عن ظهر قلب أو يلتحقون بالمدرسة أين يتلقون تدريسهم في الفقه و التوحيد و النحو على يد العلماء من أئمة و مفتين و قضاة هذا في الحواضر أما في الريف فيلتحقون غالبا بالزوايا لإكمال دراستهم الثانوية .

---

[1] – رابح بونار ، الذكرى الألفية لتأسيس مدينة الجزائر ,الأصالة ، عدد 8 ، 1972 ، ص 84.

[2] – مسعود العيد ، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني ، سرتا ، عدد 3 ، ص 62-61.

[3] – يحي بوعزيز ، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 20.19م ، الثقافة ، عدد 63 ، 1981 ، ص 15.

[4] – محمد سي يوسف ، نظام التعليم في بلاد زواوة بايالة الجزائر خلال العهد العثماني (الحياة الفكرية في الولايات العربية),ج 1, د د ن ، 1990 ، ص 193.

[5] Dr Shaw ,**Voyage dans la régence d'Alger**, trad. de l'Anglais par J.Mac ,carthy2eme ,Bouslama,Tunis,P 339.

المبحث الثاني : الزوايا

كان اسم الزاوية يطلق على مقر المرابط [1] حياته أو بعد مماته ويكون أسسها بنفسه أو أسست على ضريحه [2] .

وقد قسمت الزوايا في الجزائر إلى نوعان : زوايا حرة لا تنتسب إلى ولي أو طريقة صوفية يدير شؤونها مجلس يتكون من طلبة , أما النوع الثاني فهو على العكس من الأول يخضع في تسييره للشيخ المؤسس أو خلفه ,كما نجد فيه النوع الخلواتي [3] والغير خلواتي [4] ، فالأول يدعي شيوخها المعرفة بالأسرار الغيبية لهم مردين وورد خاص بهم ويسمون بالطرقيين يقومون بالحضرة ,لهم فروع في كامل أنحاء البلاد ، أما النوع الغير خلواتي لا يدعي شيوخه معرفة الغيب ولهم ورد خاص [5] .

---

[1] المرابط يأتي على رأس الهرم وهو أهم إطار فيه يستمد نفوذه مكانته الدينية ، باعتباره العارف بالله والقادر على تربية النفوس وهو صاحب الكرامات والبركات يملك المعرفة الحقة بالشريعة ... بن يوسف تلمساني ، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني – الأمير عبد القادر – الإدارة الاستعمارية) ، شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الجزائر ، السنة الجامعية 1998/1997 ، ص 92

[2] – محمد الفيلالي ، نشأة المرابطين و الطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني ، ط1 ، دار الفن القرافيكي ، الجزائر ، 1976 ، ص 27.

[3]- الخلواتي يدعي شيوخها المعرفة بأسرار دينية غيبية خاصة ,والقدرة على تلقينها للأتباع اللذين يلقبون بالمريدين أو الإخوان حسب اختلاف المناطق والجهات ,يفرضون أذكارا معينة في خلوات خاصة معزولة و مظلمة لمدة محدودة وبعدها يخرجون إلى العامة ويتلونها يوميا تدعى الورد ,غالبا ما تكون بعد صلاة العصر أو المغرب كما تقوم الزوايا بتعليم الأتباع من الطلبة والتلاميذ يقوم شيخها بهذه المهمة وفي حالة العكس يوظف من يقوم بها ويحمل نواب شيخ الزاوية ألقابا منها المقدم الوكيل

[4] –الغير خلواتي لا يدعي شيخها المعرفة بالأسرار , ولكن يتخذ أصحابها وردا خاصا من الأذكار يتلونها بعد الصلوات يرتكزون على تحفيظ القران وتعليم بعض العلوم الدينية واللغوية لأتباعهم اذ يمكن اعتبارها كتاتيب قرآنية والزوايا بنوعيها لها مردين ... يحي بوعزيز ,المساجد العتيقة.....ص 17

[5] – منصور درقاوي ، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر مابين القرنين 13/10هـ .16/ 19 م ، أطروحة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة وهران ، 2015/2014 ، ص 129 .

احتلت الزوايا الصدارة بين المراكز الثقافية والتعليم خاصة بالأرياف ويعود هذا الأمر إلى غياب المؤسسات الثقافية الأخرى و هو ما سمح لها بالقيام بوظيفة تعليمية إضافة إلى وظيفتها الدينية[1] .

لقد مثلت الزاوية المسجد والمدرسة في آن واحد فهي مقر للعبادة و الدراسة ,كتدريس علوم الدين والفقه ومبادئ القراءة والكتابة ,إضافة إلى كونها مأوى لعابري السبيل لقد جمعت الزاوية في تعليمها بين التربية الروحية والعسكرية كونها مبنية على نشر الدعوة الصوفية والتهيؤ للجهاد وبالتالي كان انتشارها كبيرا على مستوى الأرياف حيث انعدمت المدارس فلعبت الزوايا دورا هاما في الحياة الثقافية والتعليمية [2] .

تتلمذ بهذه الزوايا غالبية علماء الجزائر في العهد العثماني أمثال سعيد قدورة ,أبوراس الناصر[3] الأمير عبد القادر[4] ,محمد بن علي السنوسي [5]حيث كانت تجلب اليها العديد من

---

[1] – محمد سي يوسف ، مرجع سابق ، ص 193 .

[2] – مسعود العيد ، مرجع سابق ، ص 69.

[3]- محمد بن احمد بن عبد القادر بن محمد بن احمد بن الناصر الجليلي ولد في بيئة فقيرة نواحي جبل كرسوط بالغرب الجزائري,من أشهر مؤلفاته الآيات البينات في شرح دلائل الخيرات ,الدرة اليتيمة ...أبو القاسم سعد الله ,تاريخ الجزائر الثقافي 1800.1500م ، ج 2 ، دار الغر ب الإسلامي ، بيروت ، 1998، ص 379

[4]– عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى ولد في ماي 1807 بقرية القيطنة بمعسكر ,حفظ القران الكريم وتعلم علوم اللغة وتفوق في الفروسية سافر مع والده إلى الحج زار بغداد بويع أميرا في نوفمبر 1832م قاد الجهاد ضد المستعمر الفرنسي وعمره لا يتجاوز 25 سنة نقي إلى دمشق وتوفي بها سنة 1883م ....الأمير عبد القادر ، مذكرات ، تح: بناني وآخرون ، دار الأمة ، الجزائر ، 1994 ، ص 7.

[5]-مؤسس الطريقة السنوسية ولد بمستغانم من عائلة شريفة تنقل بين بلدان المغرب والمشرق لدراسة علوم التصوف والفقه والحديث والأنساب والتراجم السياسية والفلك والمناظرة انتقل إلى فاس سنة 1821 وتتلمذ على مشايخ القرويين وفي سنة 1829م توجه إلى الحج بعدما نزل وأخذ العلم و مارس التدريس في الأغواط وفي عين ماضي و الجلفة والصحاري ...فمصر أخذ الإجازات بها ,و أذكار الطرق الصوفية من قادرية وشاذليه وتجانية ، غادر الى الحجاز واسس زاويته بمكة .....أبو القاسم سعد الله ,تاريخ الجزائر الثقافي ، ج4 ، ص 247.

الطلبة فزاوية سيدي التواتي يدرس بها حوالي مائتي طالب وهي مركز لتخريج القضاة لكامل البلاد [1] .

أما زاوية نقاوس فهي تنفق على مائتي (200) طالب وزاوية سيدي عبد الرحمن اليليولي والتي تميزت بمستوى تعليمي عالي يدرس بها حوالي مائتي طالب ويدرس بها حوالي خمسة وعشرون مدرسا[2] .

كانت الزوايا غالبا ما تضم غرفا لإيواء الطلبة وأخرى للدراسة تكون تحت إشراف المقدم [3] ، أو الوكيل [4] وأما بعض الطرق فكان الإشراف عليها متوارثا في العائلة,ويساعد الخليفة المرابط الذي يتولى التعليم أو الإشراف على مدرسيها الوكيل وعدد من الخدم ,كما وجدت بها مخازن للمؤن من أجل تمويل الطلبة والفقراء [5] .

كان من مميزات العهد العثماني في الجزائر انتشار الزوايا في كامل أنحاء البلاد خاصة بالأرياف ,ويعود هذا إلى افتقارها للمؤسسات التعليمية الأخرى ,إضافة إلى انتشار

---

[1] – يحي بوعزيز ، أوضاع المؤسسات الدينية .... ، ص 17 .

[2] – مسعود العيد ، مرجع سابق ، ص 63.

[3]- هو ممثل الشيخ أو الخليفة في الزاوية أو المنطقة المنتدب لها فهو بمثابة مدير الوحدة يعمل على نشر الطريقة وكسب المريدين ، يؤاخي بينهم ويلقن الورد ويترشح لمرتبة المقدم كل مريد توفرت فيه مواصفات معينة كالصمعة الجيدة بين المريدين وعند مسؤوليه ,والتحلي بالآداب العامة مع الخاصة والعامة والاستيعاب الجيد لأفكار وأوراد الطريقة ,تمنح إجازة مكتوبة بمثابة دبلوم للمقدم وهذه الإجازة تخول له حق تلقين ورد الطريقة ولأشراف على مجموعة من المريدين المقيمين في حدود المنطقة المعينة له ,وتتضمن الإجازة عادة التعريف بالمقدم ، سلسلة الطريقة وذكرها ، أسلوب تلقينه للأتباع وينتهي نص الإجازة بتقديم النصح للأتباع بطاعة المقدم ....انظر بن مريم التلمساني ، مرجع سابق ، ص 40.

[4]- يقوم بأعمال وشؤون الطريقة انطلاقا من الزاوية الأم فهو بمثابة المقتصد في المؤسسة ,فيشرف على الجوانب الإدارية من مراسلات ,تجهيز وضبط للميزانية وبقدر ما يكون الوكيل يمارس مهامه من الزاوية الأم بقدر كبير بقدر ما تكون أهميته كبيرة ، يساعد الوكيل مجموعة من الخدام يقودهم مقدم يسمى عند بعض الطرق مقدم الخدام....بن مريم التلمساني ، مرجع سابق ، ص 39.

[5] – محمد الفيلالي ، مرجع سابق ، ص 27.

الطرق الصوفية التي كان مركزها الزوايا ,فكانت مدينة الجزائر وحدها تضم عددا كبيرا من الزوايا والأضرحة فقد أحصى بها دوفو (Devoulx) [1]سنة 1830 م اثني عشر (12) زاوية ,واثنان وثلاثون (32) ضريحا ,إضافة إلى زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي [2] وزاوية الوالي دادة ,وسيدي عبد الرحمن الجيلالي[3] واخرون .[4]

أما قسنطينة فقد وجد بها ستة عشر(16) زاوية منها ما كان تابعا للعائلات الكبرى بالمدينة مثل زاوية أولاد الفكون [5]وزاوية ابن نعمون و زاوية أولاد جلول[6] .

كما اشتهرت تلمسان أيضا بزواياها التي وصلت إلى أكثر من ثلاثين (30) زاوية أشهرها زاوية عين الحوت إضافة إلى عدة زوايا بالغرب الجزائري كالزاوية الموجودة في جبل بني راشد ,والتي كان لها دور بارز في نشر العلم في الريف وقد تخرج منها عدد من العلماء والفقهاء [7] .

---

[1]- دوفو مترجم عسكري فرنسي ومدير الأرشيف العربي بأملاك الدولة ..انظر محمد الصالح بكوش , دور المترجمين العسكريين الفرنسيين في الجيش الفرنسي بالجزائر ، مجلة التاريخ ، عدد النصف الثاني من سنة 1982 ، الجزائر ، ص 41.

[2] – ولد ونشا بناحية وادي يسر قرب العاصمة تعلم ببجاية وتونس ومصر ,ثم انتقل إلى تركيا ثم عاد إلى تونس ومنها إلى الجزائر له عدة كتب منها :قطب العارفين في التصوف ,دفن بالجزائر العاصمة ....عادل نويهض ، مرجع سابق ، ص 90.

[3] - مؤسس الطريقة القادرية 1166.1078م دفين العراق تقوم طريقته على العلم والأخلاق والصبر والإتقان ، يعتبر شعيب ابن حسين المعرف بأبي مدين مؤسس التصوف السني وناشر القادرية بالمغرب الإسلامي والأندلس ....أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج4 ، ص 247

[4] – خيرة بن بله ، المنشات الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني ، أطروحة دكتوراه ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2008 ، ص 310.

[5] - أشهرهم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون1663م.1173هـ) ,أديب ونحوي محدث جمع بين علمي الظاهر والباطن كان عالم بالمغرب الأوسط في عصره من أهل قسنطينة ,كان يلي إمارة ركب الحج في الجزائر ,شهد له بالتقدم في أهل عصره من أشهر مؤلفاته : "محدد السنان في نحور إخوان الدخان " رسالة في تحريم الدخان ,"حوادث فقراء الوقت " ، "منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية ".... أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج4 ، 338

[6] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1800.1500) ، ج1 ، ص 268–269..

[7] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 264.

وتعد منطقة القبائل أغنى المناطق بالزوايا حيث تصل حتى خمسين زاوية أشهرها زاوية تيزي راشد [1] المعروفة بزاوية ابن أعراب وهي الزاوية التي درس بها محمد الدباح وزاوية الأزهري بايت إسماعيل هذا دون أن نغفل الدور الذي قامت زوايا الصحراء كزاوية عين ماضي[2] التي وصل تأثيرها حتى الحدود الجزائرية المغربية , وعلى هذا الأساس عملت الزوايا على تحفيظ القران الكريم ونشر التعليم والإسلام في المناطق النائية كما كانت ولا زالت مخازن رئيسية للكتب والمخطوطات[3] .

لكن اعتماد الزوايا على المنهج التقليدي في التعليم أدى إلى الركود والجمود الفكري وشيوع الدروشة والانحرافات [4] .

تعتمد الزوايا في الإنفاق على المتمدرسين وعلى العلماء بها على أموال الهبات والزكاة والهدايا التي يقدمها أفراد القبيلة إضافة إلى ما يجمعه الطلبة من المناطق التي تخضع لنفوذها دون أن ننسى تبرعات المسافرين والزوار اللذين يقصدونها للتبرك بضريح مؤسسها إضافة إلى حبس الزوايا[5] .

---

[1] – أبوراس الناصري ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ، ص 105.

[2] --تقع عين ماضي جنوب جبل رداد وهي جزء من سلسلة العمور على بعد مسافة اثني وسبعون كيلومتر غرب مدينة الأغواط ,ونحو أربعمائة واثنين وسبعين كيلومتر عن الجزائر العاصمة ,كانت مقرا للعلماء والوعاظ والزهاد وقبلة للطلاب لاسيما أنها تقع في طريق حجيج المغرب الأقصى وسكان الجنوب الغربي من الجزائر يمرون بها فانعكس ذلك على المنطقة من الناحية الثقافية والاقتصادية ,وتعتبر مسقط رأس مؤسس الطريقة التجانية الشيخ أحمد التجاني سنة 1737م /1150هـ ، ابن مريم التلمساني ، مرجع سابق ، ص 62.63.

[3] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 1 ، ص 265/266.

[4] – يحي بوعزيز ، أوضاع المؤسسات الدينية .... ، مرجع سابق ، ص 19.

[5] – نفسه ، ص23..

المبحث الثالث : المدارس

لا تخلو أي مدينة أو حي أو قرية من القرى في الريف من المدارس وقد كانت منتشرة بين أهل البادية والجبال النائية وكانت دور الأوقاف تلعب دورا هاما في انتشار المدارس ونشر التعليم [1].

وقد عرف أبوراس الناصري المدرسة بقوله :"المدرسة المتعارف عليها عندنا وهي التي تبنى لدراسة العلم أي تعليمه وتعلمه [2].

وقد وجدت المدارس في مختلف جهات الوطن ,فمدينة الجزائر وحدها كانت تحتوي على مائتين وتسعة وعشرون (229)مدرسة يدرس بها خمسة آلاف وخمسمائة وثلاث وثمانون (5583) تلميذ منها مدرسة القشاشين التي أشاد بها أبوراس الناصري واعتبرها مركزا للتعليم العالي [3].

أما مدارس قسنطينة فلم تكن تقل أهمية عن مدارس مدينة الجزائر وقد عرفت هي الأخرى إشعاعا ثقافيا خاصة عهد صالح باي الذي أسس المدرسة الكتانية عام 1776م /1190 هـ لتعليم مختلف العلوم وقد جعل لها نظاما خاصا كما أنه أسس عدة مدارس في عنابة وجيجل , وكان يلحق بكل مدرسة مسجدا وكتابا ومكتبة وقد قدر عدد مدارس قسنطينة عند دخول الفرنسيين ب تسعون (90) مدرسة [4].

---

[1] – أحمد مريوش ، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحكة الوطنية ، الجزائر ، 2007 ، ص 15.

[2] – أبوراس الناصري ، مصدر سابق ، ص 91.

[3] – نفسه ، ص 92.

[4] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 276.

أما مدارس تلمسان فقد بلغ عددها خمسون (50) مدرسة صغيرة مخصصة ل ألفين (2000) نسمة بالإضافة إلى مدرستان للتعليم العالي وهما مدرسة الجامع الكبير ومدرسة أولاد الإمام [1].

وقد أستفادت مدارس الغرب الجزائري من إصلاحات الباي محمد الكبير وهذا لتدعيم وتنشيط الحياة الثقافية ,حيث أسس المدرسة المحمدية في معسكر لتصبح من اكبر مدارس بايلك الغرب [2] ووصفها ابن سحنون[3]" المدرسة التي كاد العلم أن يتفجر من جوانبها"[4].

المبحث الرابع : المكتبات

لتسهيل عملية المؤسسات السابقة ضمت الجزائر عددا هاما من المكتبات التي تحتوي العديد من الكتب التي كانت إما إنتاج محلي عن طريق التأليف أو النسخ أو وصلت إلى الجزائر من مصر أو الحجاز أو الأندلس [5] فالتمقروتي [6] يذكر أن مدينة الجزائر في القرن

---

[1] – نفسه ، ص 277.

[2] – أبو راس الناصري ، مصدر سابق ، ص 78.

[3] – ابن سحنون الراشدي أحمد بن محمد بن علي ينتسب الى اسرة من بني راشد لها سابقة في الجهاد فقد حضر عمه الفتح الاول لوهران سنة 1708م/1120هـ وهو من مواليد النصف الثاني من القرن 18 بمعسكر ,تولى الكتابة لدي الباي محمد الكبير توفي بعد عام 1796م/ 1211هـ أشهر مؤلفاته "الثغرالجماني في ابتسام الثغر الوهراني " عن الباي محمد الكبير وسياسته الجهادية التي توجت بتحرير وهران سنة 1792م ..... محمد شاطو ,نظرة المصادر الجزائرية الى السلطة العثمانية في الجزائر ,أطروحة ماجستير في التاريخ الحديث ,جامعة الجزائر ,قسم التاريخ .2005.2006 ,ص 13

[4] – ابن سحنون .الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تح :المهدي البوعبدلي ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1973 ، ص 127.

[5] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 286/288.

[6]– أبو الحسن علي بن محمد بن علي التمقروتي ينتسب الى قرية تمقروت بوادي درعة بالمغرب الأقصى ولد حوالي 1560,تعلم بالمغرب وتقلد مناصب هامة ورسمية ببلاد مراكش كلفه السلطان السعدي أحمد المنصور بسفارة إلى اسطنبول سنة 1589م ألف كتاب النفحة المسكية في السفارة التركية توفي بمراكش سنة 1594م .... محمد شاطو ، مرجع سابق ، ص16 .

السادس عشر 16 كانت غنية بالكتب فقال : " الكتب فيها أوجـــد من غيرها في بلاد افريقيا "[1].

أما حواضر الغرب الجزائري اشتهرت بها مكتبات تلمسان ومعسكر ومازونة بما تضمنته من مخطوطات و مؤلفات وقد وصل عدد المكتبات بها إلى عشرون (20) مكتبة منها المكتبة التي أوقفها الباي محمد الكبير للمدرسة المحمدية بمدينة معسكر [2] والشيء نفسه يقال عن مدينة قسنطينة التي كانت زواياها وبيوت أسرها تعج بالمكتبات التي حوت على كتب المشارقة والأندلسيين إضافة إلى المؤلفات المحلية[3] .

إن غنى مكتبات الجزائر كان نتيجة انتشا حركة التأليف والنسخ بالإضافة إلى الكتب التي كانت تصل إليها عن طريق الحجاج والعلماء والرحالة فالجبرتي [4]ذكر أن حاجا جزائريا حاول إغواءه حسب قوله ليبيعه كتابا في الفلك للسمرقندي[5] وحتى شيوخ القبائل كانوا يقلدون الملوك والسلاطين في إنشاء خزائن الكتب [6] .

كما استفادت الجزائر من كتب الأندلسيين وتراثهم فقد جلبوا معهم العديد من الكتب أي أنه كان هنالك نوعان من المكتبات عامة و خاصة وغالبا ما كانت هذه المكتبات بجوار المسجد أو المدرسة وذكر ابن المفتي [7] أن الجامع الكبير على عهده وجد به حولي ثلاثة

---

[1] – التمقروتي ’مصدر سابق ، ص 139.

[2] – ابن سحنون ، مصدر سابق ، ص 127 .

[3] – أبو القاسم سعد الله ، محمد الشاذلي القسنطيني (1807.1877م) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974 ، ص 16.

[4]- عبد الرحمن بن حسن الجبرتي ,ولد سنة 1754م أرخ لمصر و دون وقائعها ولد بالقاهرة وتعلم بالأزهر خلد تأليفا هاما "تاريخ الجبرتي " ، "عجائب الآثار في تراجم الأخبار" ....محمد شاطو ، مرجع سابق ، ص 17

[5] – عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ضبطه إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997، ص 74.

[6] – ابن سحنون ، مصدر سابق ، ص 594.

[7]- هو محمد العربي بن محمد بن علي بن المهدي شاعر وأديب له ديوان في شعر المدائح النبوية توفي سنة 1751م ....محمد شاطو ، مرجع سابق ، ص 18.

مائة (300) مجلد وهذا بالرغم من الإهمال والتلف والنهب الذي تعرضت له ,أما المكتبات الخاصة فعددها كبير جدا تعود خاصة للعائلات التي نالت شهرة علمية وضخامة مكتباتها يرجع لاستمرارها لعهد طويل كعائلة الفكون بقسنطينة التي تملك أضخم مكتبة وهي مكتبة حمودة الفكون التي يوجد بها ألفين وخمسمائة (2500) مجلد , أما بايلك الغرب فقد اشتهرت مكتبة أبو راس الناصر التي حبسها عليه أحد بايات وهران وسمـــاها مكتبة المذاهب الأربعة [1].

ومحتوى المكتبات في معظمه عبارة عن رصيد للعلوم الدينية منها التفاسير ,الأحاديث الدينية ,فقه الأصول والتوحيد والعلوم اللغوية الى جانب العروض والبلاغة أما التاريخ والجغرافيا والفلسفة فكانت قليلة وبالنسبة لكتب الحساب والطب والفلك أقل من قليل إضافة إلى هذه المراكز الثقافية والعلمية كانت الدكاكين التجارية تستعمل للشراء والبيع نهارا وللمسامرات الأدبية ليلا ,بل وحتى منازل العلماء كانت مراكز يومية يتلقى فيها الطلبة الدروس خاصة في الأماكن التي لا يوجد فيها زاوية ولا مدرسة ويضاف إلى هذا النوادي المنزلية التي تقام في منازل أعيان البلد كالدايات والبايات والقضاة والمفاتي حيث يجتمع عندهم العلماء لدراسة الكتب.[2]

[1] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 296.

[2] – نفسه ، ص 298.

فابن ميمون [1] كان له دار كالنادي يجتمع فيها العلماء كابن حمادوش [2]وابن عمار [3]وعدة علماء اخرون . [4]

[1]- فقيه صوفي تولى القضاء في عهد الداي بكداش وشغل منصب خطة المواريث شهد الفتح الأول لوهران وألف كتابه التحفة المرضية في الدولة البكداشية .....ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1 ، ص 390.

[2]- عبد الرزاق ابن محمد با احمد ولد بمدينة الجزائر 1695م/1107هـ من أسرة متوسطة الحال , تتلمذ على يد محمد ابن ميمون دأب طيلة حياته على القراءة اشتهر في مجال أدب الرحلة برحلته "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" سجل فيه ما عرض له وما شاهده خلال فترة الحج وأثناء زيارته للمغرب ,تقلد عدة وظائف دينية زامن عصر الدايات توفي سنة 1785م/1200هـ .....محمد شاطو ,مرجع سابق ,ص19.

[3]- هو أحمد بن عبد الله عمار المعروف بابن عباس تولى الافتاء بالجزائر له مؤلف الرحلة الحجازية ولواء النصر في حلماء العصر .....أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 300.

[4] – ابن ميمون الجزائري ، مرجع سابق ، ص 60.

02 العوامل المتحكمة في الحياة الثقافية

- سياسيا
- اقتصاديا
- ثقافيا
- دينيا
- اجتماعيا

انعكست الأزمة العامة و حالة التفكك السياسي والتدهور التي شهدتها الجزائر خلال عهد الدايات على المستويات الفكرية وقلصت بذلك دائرة العلم وكانت تتحكم في ذلك جملة من العوامل و المتمثلة فيما يلي:

المبحث الأول : سياسيا

يعتبر عهد الدايات في الجزائر1082-1246هـ/1671-1830م أطول فترات الحكم وآخرها[1]، تولى الحكم عدة دايات قتل جلهم منهم مصطفى باشا الذي اغتيل عام 1805م ، محمد باشا وصالح باي عام 1792م ، وقتل جل الدايات التسع عشر الذين خلفوه[2].

استولى معظم الحكام غلى السلطة بالجور والقوة وجمع المال والتظاهر بالدين، فقد اسقطوا بنفس الطريقة ليصبح الاغتيال الوسيلة الوحيدة لتصفية الحسابات[3]، والوصول إلى الحكم في سلسلة الاغتيالات للحكام والوزراء والموظفين أنهكت النظام القائم وقضت على الرعية[4].

وقد كان أغلبهم بعيد كل البعد عن العلم والثقافة وتسلموا مقاليد الحكم[5]، لان أغلبية الدايات تجاهلوا حقيقة السلطة وأهدافها بخدمة المصلحة العامة[6]، فاهتموا بالتنظيمات الإدارية والعسكرية والمالية التي تضمن لهم مدا خيل مالية مهملين بذلك الجانب الثقافي

---

[1] – احمد توفيق المدني ، الدولة الجزائرية تدافع عن استقلالها من الجامعة العثمانية ، مجلة التاريخ ، المركز الوطني للدراسات التاريخية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1981 ، ص11.

[2] – نصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1999، ص215.

[3] – أبو القاسم سعد الله ، من أخبار الداي شعبان, التاريخ ، عدد 08 ، 1980 ، ص17.

[4] – بلحميسي ملاي ، الثورة على الأتراك ، الثقافة ، عدد48 ، 1978 ، ص38.

[5] – سعيد محمد المهدي ، أم الحواضر في الماضي والحاضر، مطبعة البعث في قسنطينة ، 1980 ، ص 392 .

[6] – حمدان خوجة ، المرآة (لمحة تاريخية وإحصائية للجزائر) تح وتع: محمد العربي الزبيري ، ش.و.ن.ت الجزائر ، 1975 ، ص102.

والحضاري ، فانعكست هذه الظاهرة سلبا على مستوى التعليم مقارنة بدول المشرق، وقد اثر حتى على علاقتهم بالرعية.

وقد تجلى هذا الركود الثقافي في قول أبو راس الناصري : " إن في زمن عطلت فيه مشاهير العلم ومعاهده وسدت مصادره وموارده وخلت دياره، ومواسمه وعفت أطلاله ومعالمه ، لاسيما في فن التاريخ والادب وأخبار الاوائل والنسب قد طرحت في زوايا الهجران ونسجت عليها عناكب النسيان واستوطن فحولها زوايا الخمول ، يتأسفون انعكاس أحوال الأذكياء والأفاضل[1].

ويرجع شوSHAW هذا الجمود الفكري إلى النظام الاستبدادي والفوضى السياسية من انقلابات وثورات، هذا حسب رأيه مناف لانتشار العلوم الثقافية التي تتطلب الاستقرار السياسي[2].

كما شاع في عهد الدايات الفساد إلا أن هذه الظاهرة كانت خاصة ببعض الدايات فقط، لأنه لا يمكن أن نعمم هذا على كل الحكام بل هناك من كانت تهمه مصلحة البلاد، والدليل على ذلك قول أحد القادة:"إننا لم نخضع هذا الشعب لحد السيف ولم نملك البلاد بقوة، وإنما أصبحنا سادة بالعدل والإحسان، وفي بلداننا لم نكن قادة وإنما حصلنا على مناصب في هذا القطر ولهاذ فهو وطننا وواجبنا أن نجتهد للمساهمة في إسعاد السكان، كما ولو أننا نعمل من أجل أنفسنا[3].

[1] – أبو راس الناصري ،مصدر سابق ، ص03.

[2] – Dr.Shaw ، p86.

[3] – حمدان خوجة ، مصدر سابق ، ص135.

لكن التناقضات السلبية في الحكم والفوضى التي تميز بها هذا النظام، بالإضافة إلى صراع بين الانكشارية و الرياس من اجل السلطة كان له الأثر السلبي على علاقة الدايات مع الرعية، وهذه السلبية ظهرت على كل الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية[1].

أن حكام الجزائر كانوا في أغلبهم لا يعرفون اللغة العربية ولا يفقهونها[2]، فكيف نتوقع منهم إنتاج بلغة لا يعرفونها ولا يتذوقونها[3]، وصارت اللغة العربية حاجزا بين الطرفين وكان علماء الجزائر لا يستطيعون الوصول إلى قلوب الحكام ، الذين ظلوا يستعملون اللغة العثمانية أو كانوا في أغلب الأحيان غير متعلمين[4]، ومع ذلك فقد ظهر بعض الحكام من شجعوا الحياة الثقافية والأدبية[5]، فقد أولوا بعض الحكام عناية خاصة للتعليم في النصف الثاني من القرن 12هـ/18م، وقد شجعهم على ذلك الاستقرار السياسي الذي عرفته البلاد، وما أنجزه صالح باي في بالك قسنطينة في مجال التعليم فشيد لهدا الغرض في كل نواحي البايلك المساجد والمدارس، ففي مدينة قسنطينة أنجز مسجد الكتاني وألحق المدرسة، التي تم بناؤها في عام 1189هـ/1775م، وشيد مدرسة ثانية بالقرب من مسجد سيدي الأخضر في عام 1203هـ/1789م، وعينة صالح الباي عداداً من المدرسين لتدريس الفقه والتفسير والحديث واللغة[6].

---

[1] – جوليان شارل أندري ، تاريخ افريقيا الشمالية ، تع: محمد بن سلامة الدار التونسية النشر،تونس ، 1978، ص 335 .

[2] – ابن عبد الكريم محمد ، المقري وكتابه نفح الطيب_، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان، د.ت ، ص 56.

[3] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج01 ، ص195.

[4] – أبو القاسم سعد الله, أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر،المجلد الخامس, ص182.

[5]– أحمد المقري ، رحلة المقري إلى المشرق والمغرب ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، سيدي بلعباس ، الجزائر، تح: محمد بن معمر،2004 ، ص72.

[6] – أرزقي شويتام ، مرجع سابق_، ص337.

ووضع الباي نظاما داخليا للتعليم، حتى يمكن لطلبة الأرياف من الإقامة بالمدرسة لمزاولة تعليمهم وهناك من لاحظ أنه بالرغم من المزايا التي كان يوفرها هذا النظام بالنسبة للطلبة، فإنه لم يكن يترك لهم وقتا للترفيه عن النفس فكانوا يقضون معظم الوقت في التعلم.

ومنه إن عدم اهتمام الدولة بقطاع التعليم، ووضعها سياسة تعليمية خاصة وتوحيد جهود المثقفين كلها كانت عوامل لأثرت سلبا على المستوى التعليمي بالجزائر[1].

المبحث الثاني : اقتصاديا

إن العثمانيون كان انشغالهم منصبا على التجارة وجمع المال، وليس العلوم،فبعد استقرارهم في البلاد عملوا على تعزيز الجيش لصد العدو والاعتراف بسلطتهم من خلال خطبة الجمعة التي كانت تقرا باسم السلطان العثماني ودفع الضرائب للسلطة المركزية[2]، لذا ركزوا اهتمامهم على القرصنة والاتوات والاحتكارات التي أخذت الجانب الأوفر من العناية لما ترده عليهم من فوائد مادية[3]، فحال دون إعطاء الجانب الحضاري الأولوية مقارنة بالجانب العسكري، إضافة إلى أن إسلام الأتراك كان هشا فلم يعطوا أهمية للعقيدة والثقافة إلا إذا كانت لها عواقب على سلطتهم[4]، كما أن عدم فهمهم اللغة العربية حال دون اهتمامهم برجال الحرب[5].

كما أن تأثير العنصر الأندلسي في مجتمع المدن كان عميقا جدا لكونهم لكثر ثقافة وتطورا ونشاطا من باقي الجماعات الأخرى، لأنهم طوروا المهن والأشغال اليدوية بالمدن

---

[1] – ارزقي شويتام ، مرجع سابق، ص 339.

[2] – محفوظ قداش ، الجزائر في العهد التركي ، الأصالة ، العدد52 ، 1977 ، ص10.

[3] – خير محمد فارس ، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي ، الطبعة 02 ، مكتبة الشرق، بيروت ، 1979، ص 96.

[4] – أبو القسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج01 ، ص188.

[5] – ابن ميمون الجزائري ، مصدر سابق ، ص56.

أرباب أموال كبار لهم مكانتهم وسمعتهم بين الناس هذا ما لم يمنعهم من احتباس جزء من أموالهم وقفا للزوايا والمساجد بسبب غناهم ورفاهيتهم، كما لعبت الظروف الاقتصادية دورا كبيرا في احتفاظ الأندلسيين بتقاليدهم وعاداتهم بحيث تميزوا برقة ذوق الملبس والتفنن في العمارة والموسيقى والغناء[1].

المبحث الثالث : ثقافيا

تمثلت مظاهر الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، في التعليم ومؤسساتها ورجالتها، فإذا نظرنا إلى الثقافة من هذه الزاوية فإننا نلاحظ أن كل هذه العناصر كانت متوفرة في الجزائر، إلا أن دورها ومستواها كان مختلفا من ظرف إلى آخر، فكانت تتحكم فيها الأوضاع العامة للبلاد[2].

كما نوهت المصادر المحلية بالمساعدة التي كان هذا القطاع يلقاها من بعض رجال الحكم في شكل هبات مالية، وأوقاف إكرام للعلماء الأمر الذي جعل هذا القطاع يعرف التحسن والانتعاش، حتى وإن لم بكن مجال الثقافة في مقدمة اهتمامات الأتراك، بالقدر الذي حظي به المجال العسكري[3].

وقد أجمعت المصادر على أن نسبة الأمية في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني كانت ضعيفة، وقيل الثقافة كانت مزدهرة نسبياً قبل دخول الفرنسيين للجزائر عام 1264هـ/1830م[4]، هذا فإن الميل إلى العلم والمعرفة كان متأصلاً في نفوس الجزائريين، وأكد أحد القادة الفرنسيين هذه الحقيقة في عام 1250هـ/1834م، إذ قال:"إن العرب كانوا

---

[1]– أبي راس الناصري ، مصدر سابق _، ص39.

[2] – نصر الدين سعيدوني ، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم المؤرخين والرحالة والجغرافيين_، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1999 ، ص277.

[3] –ابن العنتري , فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها(تاريخ قسنطينة)،تق وتع : يحي بوعزيز د.م.ج الجزائر 1991 ، ص111.

[4] – عباس فرحات ،_ليل الاستعمار، نقله إلى العربية أبو بكر الرحال ، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب ، د.ت، ص60.

يتقنون كلهم القراءة والكتابة وفي كل قرية توجد مدرستان، وأما عدد المدارس فقد كان يناهز ألفي مدرسة، كما توجد معاهد في الجزائر العاصمة، قسنطينة، مازونة، تلمسان ووهران[1].

وكان التعليم في الزوايا زاهداً حيث كان للزواية دوراً أساسياً في انتشار الثقافة الدينية وتوريثها في الأرياف والمدن، بل تحولت بعض المناطق إلى مراكز ثقافة في الجزائر بفضل تلك الزوايا مثل منطقة زواوة التي صارت قطبا للزوايا[2]، فكان لكل طريقة دينية عدة مدارس منتشرة في القطر[3].

وقد تجلت الحياة الفكرية والثقافية خلال القرن 17م في مظهرين(علمي، أدبي)، والتي سماه أبو القاسم سعد الله بالاجتهاد العقلي(الدراية) والتقليد(الرواية)[4]، حيث أخذت الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني الطابع الإسلامي الديني، وكانت حلقات العلم تعقد بمراكز تعليمية حملة نشر رسالة الثقافة في عهد كان فيه التعليم قضية أهلية لا دخل للحكومة فيها[5].

ومنه فقد كان التعليم في الجزائر في غياب الدولة وهجرة العلماء عبر النحو التالي:

يعتبر التعليم من القواعد الأساسية التي تساعد على ازدهار الثقافة وانتشارها في المجتمع، وقد أدرك الجزائريون أهمية التعليم ودوره في المجتمع، فلهذا كانوا حريصين على تعليم أبنائهم وما يؤكد ذلك العدد الكبير من المؤسسات التعليمية التي كانت منتشرة في البلاد، فكان يوجد في المدن الجزائرية عدد من المؤسسات التعليمية المتمثلة في الكتاتيب،

---

[1] – أبو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف_، ج2 ، تق:محمد رؤوف موفوق للنشر الجزائر، 1999 ، ص 39 .

[2] – محمد سي يوسف ، مرجع سابق ، ص195.

[3] – عباس فرحات ، مرجع سابق،ص61.

[4] – أبو القاسم سعد الله, تاريخ الجزائر الثقافي،ج 02، ص10.

[5] – أبو القاسم سعد الله ، _أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، المجلد الخامس_، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ، 2005، ص 174.

المساجد، المدارس والزوايا، فمنها ما هو خاص يشرف عليه الأهالي ومنها ما هو عام، تتولى أمره الدولة وكانت بعض الأسر تعلم أبناءها في منازلها[1]، أما في الأرياف فإن التعليم كان يتم في الساجد والزوايا،فكانت كل القرى الجزائرية تحتوي على مسجد الذي كان فضاء يستغل في تعليم الأطفال، إلى جانب دوره الديني والاجتماعي وقد ساهمت الزوايا التي عرفت انتشارًا واسعاً في بداية العهد العثماني في نشر التعليم، وسمح نظامها الداخلي باستقبال الطلبة الوافدين من المناطق البعيدة[2].

وكان التعليم ينقسم إلى ثلاثة أطوار هي الطور الابتدائي فيلتحق به الأطفال بالكتاتيب في السن السادسة يتعلمون خلال تلك المرحلة القراءة والكتابة ومبادئ اللغة وحفظ القران الكريم وقواعد الحساب، وكانت أدواتهم الأساسية في الألواح الخشبية والأقلام من القصب والصلصال، وحسب مصادر القرنين 12هـ-18م/13هـ-19م فإن طريقة التدريس لم تتغير طوال العهد العثماني[3].

وهناك من ذكر أن هناك مئة مدرسة عمومية وخاصة في مدينة الجزائر، وكان التعليم يتم مرتين في اليوم الصباح وبعد الظهر، أما الطور الثاني كان التلاميذ يتعلمون اللغة وفروعها كالصرف، النحو، الحساب وغيرها من العلوم، وقد خصص الطور الثالث أو العالي للعلوم الدينية وغيرها، ويرى أو القاسم سعد الله أن مدينة الجزائر كانت مقصدا للطلبة سواء من داخل أو خارج الجزائر حسب رأيه فإن دروسها كانت تفوق أحياناً مساجد الشرق[4]، ورغم أنها تفتقر إلى معهد رئيسي تضاهي القرووين والأزهر والزيتونة[5]، التي كان تأثيرها

[1] – الحفناوي ، مصدر سابق، ج01 ، ص 410.

[2] – أرزقي شوتيام ، مرجع سابق ، ص 33.

[3] – نفسه ، ص335.

[4] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 01 ، ص 273 .

[5] – ابن سحنون ، مصدر سابق ، ص69.

واضحاً عل حواضر الجزائر ومثقفيها سواء عن طريق الاحتكاك لي خريجي هذه المعاهد أو خلال رحلات الحج أو عن طريق البعثات العلمية[1].

ورغم ما قيل عن العهد العثماني في المجال الثقافي إلا أن حركة التاليف كانت نشطة ، بحيث لا نكاد نجد عالماً إلا وله تآليف كثيرة ومن أشهرهم: أبو راس الناصري، إبن العنابي، إبن حمادوش...إلخ[2].

كما شاعت حركة التأليف شاعت أيضا ًحركة النسخ كوسيلة لانتشار الكتب وأحياناً كانت بتشجيع من الحكام كالباي محمد الكبير الذي شجع الطلبة على نسخ الكتب وكان يكافئهم بسخاء[3]، التعليم كان منتشرا في كامل أنحاء البلاد لكنه كان تقليدياً[4].

ومنه لا يمكننا تحميل العثمانيين مسؤولية تدهور الوضع الثقافي في الجزائر،لكن سياستهم أعانت على الانحطاط[5].

إن القرن الحدي عشر هجري(17م) أنجب كوكبة من العلماء كتبوا في مختلف المجالات الشرعية والأدبية وحتى العلمية لكنهم لم يجدوا المؤسسات العلمية التي تتكفل بهم مثل: الزيتونة، القرويين، الأزهر، الجامع الأموي أو الحرمين؛ وهذا ما جعل نخبة من العلماء إن لم تهاجر تفكر دائماً بالهجرة لأنه في نظر البعض منهم أن الجو الثقافي والسياسي الذي كانوا يعيشونه لا يساعدهم على الاستقرار والإنتاج الثقافي[6].

---

[1] – ابن سحنون ، مصدر سابق ، ص58.

[2] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 01، ص 294.

[3] – إبن سحنون ، مصدر سابق_، ص146.

[4] – العربي الزبيري ،_التجارة الخارجية للشرق الجزائري قبل الاحتلال(1830–1972)، الطبعة 02 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984، ص28.

[5] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج 01 ، ص185.

[6]– نفسه ، ص438.

لقد كانت الثقافة بالجزائر ترتكز على العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه،فإن برامج تعليم ومصادره كانت في الأساس فقهية فحلقات الدروس في المساجد والزوايا كانت تعتني عموماً بالعلوم الشرعية و تهمل العلوم العقلية مثل: الفلسفة والرياضيات والتاريخ، أما عنايتها باللغة العربية والحساب والفلك فتدخل في سياق العناية بالفقه والشريعة ولم تكن مستقلة عنهما[1].

وأما الإنتاج العلمي والثقافي في هذه المرحلة فلم يخرج عن الشروح والحواشي للمصادر الفقهية الكبرى، فقد قلت الآثار المبدعة في إنتاج العلماء بحكم الجمود العقلي، فالتمس هؤلاء العلماء نشاطهم في دراسة أعمال السابقين واعتكفوا عليها يشرحونها ويكررونها دون تجديد[2].

وبالرغم من فترة الانحطاط التي شاهدتها الجزائر فلم تمنع بعض علماء الجزائر من البروز في علوم عصرهم، وإن كان عددهم يعد على أصابع اليد[3]، فقد برز علماء أجلاء في الدين استطاعوا لعلمهم أن يحتلوا مكانا مرموقاً بين مشاهير الإسلام مثل: أبو راس الناصري الذي كان ناظر علماء المشرق والمغرب الذين اعترفوا له ببراعته وأجازوه ولقبوه بشيخ الإسلام[4]، كما وأنه حظي بمكانة معتبرة في مصر بعدما تصدر للقراء بالأزهر والتدريس بعدة

[1] – محمد غانم ، التاريخ والمؤرخون في الجزائر خلال القرن الثامن عشر، وحدة البحث في الانثربولوجيا الاجتماعية والثقافية ، جامعة وهران ، 1988 ، ص04.

[2] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج01_، ص21.

[3] – هلال عمار، العلماء_الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين (3-14هـ) ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 199 ، ص 393.

[4] – الصديق محمد الصالح ، أعلام من المغرب العربي، مؤسسة موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ج01، 2000، ص14.

مدارس حتى سمي "أمير ركب حج المغاربة"[1]، ونجد من العلماء الجزائريين أجاز حتى الحكام كعيسى الثعالبي الذي أجاز السلطان العثماني أحمد باشا نعمان[2].

كما يذكر أبو القاسم سعد الله أن للهجرة الأندلسية أثر كبير على المجتمع الجزائري منكل النواحي، وذلك لاختلاف الفئات المهاجرة فمن بينهم أحفاد الملوك والوجهاء وأبناء الشعب البسطاء وفيهم أصحاب الصنائع وأصحاب القلم، فكانت مأساة الأندلس خير وبركة على مجتمع المغرب العربي، ويقول أيضاً إذا كان تأثير الهجرة الأندلسية السياسي والاقتصادي لا يهمنا هنا، فإن التأثير الثقافي لا بمكن إغفاله فلقد احتكر الأندلسيون ميدان التعليم ولم يقتصروا على حفظ القرآن الكريم، بل أضافوا إليه تعليم الحديث والقواعد العامة لمختلف العلوم وتدرس بعضها ولا سيما في حواضر المدن ، ونقلوا طريقتهم الخاصة بهم إليها ونشروا حطهم حتى ساد على الخط المغرب العربي، بالإضافة إلى ميادين مختلفة أخرى كالنحو والأدب وعلوم الموسيقى والفنون أثروا بها على الأجيال اللاحقة[3].

كانت الجزائر تزخر بحشد من العلماء إلا أن الاضطرابات والفتن التي عرفتها البلاد، قد أرغمت بعضهم على الهجرة مما جعل أبناء وطنهم لم يستفيدوا من علومهم ومعارفهم.

إن وضع الثقافة في الجزائر لم يكن يختلف كثيراً عما كان سائداً في العالم العربي والإسلامي، الدليل على هذا هو أن علماء الجزائر كانوا يتمتعون بالسمعة طيبة، وقد سمحت لهم غزارة علمهم بفرض وجودهم في حواضر الثقافة العربية الإسلامية.

---

[1] – الحفناوي ، مصدر سابق ص191.

[2] – أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وأراء، ج 01، ص202.

[3] – أبو القاسم سعد الله ، 'تاريخ الجزائر الثقافي ،ج01 ، ص35.

وإن التعليم في الجزائر كغيره من الأقطار العربية الإسلامية، كان يغلب عليه الطابع الديني ومهما كان مستواه فإنه حقق بعض النتائج الايجابية المتمثلة في تلقين شريحة واسعة من المجتمع القراءة والكتابة[1].

كما يرى أبو القاسم سعد الله أن مدينة الجزائر كانت مقصدا للطلبة سواء من داخل أو خارج الجزائر، فحسب رأيه فإن دروسها كانت تفوق أحياناً مساجد الشرق[2]، ورغم أنها تفتقر إلى معهد رئيسي يضاهي القرويين والأزهر والزيتونة[3]، التي كان تأثيرها واضحاً على حواضر الجزائر ومثقفيها سواء عن طريق الاحتكاك بخريجي هذه المعاهد او خلال رحلات الحج أو عن طريق البعثات العلمية[4].

المبحث الرابع: دينياً

طبعت الحياة الفكرية بالجزائر بمظهر ثقافي آخر تمثل في التصوف[5]، الذي شاع بين الفقهاء والعامة وصار ظاهرة اجتماعية في العهد العثماني، لكن التصوف والطرق الصوفية كانت قد اختلطت ممارساتها بالشعوذة والخرافات[6]، وخرج بذلك عن المألوف من زهد وعبادة والانقطاع لله ليتحول إلى دروشة ودجل[7]، خاصة بعدما بجل الحكام أهل التصوف الحقيقي والكاذب منهم[8]، فإنقاذ الكثير من السكان خاصة في الفترة الأخيرة من التواجد العثماني للشعوذة والإيمان بالخرافات التي نشرها رجال الطرق الصوفية باسم الدين و بتواطؤ مع

---

[1] – شويتام أرزقي ، مرجع سابق ، ص338.

[2] – أبو القاسم سعد الله ، تأريخ الجزائر الثقافي ، ج01 ، ص185.

[3] – إبن سحنون ، مصدر سابق ، ص69.

[4] – نفسه ، ص58.

[5] - التصوف هو تصفية النفس وتنقية القلب من الأدواء والأمراض الباطنية، أنظر: عبد القادر الشطي, حقيقة السلفية الوفية مذهب أهل الحق الصوفية ، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2002، ص75.

[6] – عبد الرحمن الجيلالي ، مرجع سابق ، ص517.

[7] – نفسه ، ص513.

[8] –أبو القاسم سعد الله , تاريخ الجزائر الثقافي ، ج01 ، ص467.

السلطة فستقحل أمرها وصارت مبعثا للفوضى في البلاد[1]، فتحول الكثيرون من العلم إلى الخرافة وحل بذلك السحر محل العلم.

فإذا كنا علماء الجزائر كإبن الفكون وإبن العنابي يرون في هذا زندقة ودجل، فالأوربيون يرون في هذه الخرافات تخلف عقلي واجتماعي[2]، لهذا لا يدهشنا قول "شو"(SHAW) حين قال: " أن علوم أهل الجزائر لا تتعدى السحر وأن علماؤها المرابطون والدراويش سحرة"[3]، لأنه في المقابل حين كان علماء أوربا ينادون بالحرية العقلية ويبدعون في العلوم والفنون لفائدة الإنسانية، كان مرابطوا الجزائر ينشرون البدع والخرافات[4].

وانتشر التصوف في الجزائر شرقا وغربا، وكان جل المنخرطين فيه من حفظة القرآن ذوي مبادئ فقهية وعقائدية[5]، وبهذا اعتبر التصوف جزءاً من ممارسة العلم، لذا كان علماء الجزائر يأخذون العهد عن شيوخ الطرق عندما يقصدون المغرب أو المشرق لطلب العلم[6].

زيادة فقد وجدت تآليف عدة خلال العهد العثماني لمؤلفين كإبن الفكون والورتلاني وغيرهم من الذين أرخوا للمرابطين والأولياء الصالحين، وتناولوهم بالدرس والتعريف لتراجم الأولياء خاصة الذين عاصروهم[7].

وقد شمل التصوف كل الفئات الاجتماعية لأنه شاع بين الفقهاء والعامة وحتى الحكام، فقد تعمقت هذه الفكرة في المجتمع ويرجع انتشار التصوف إلى بساطة الناس وتصديقهم لخرافة المرابطين لهذا كثر المرابطين والزوايا خاصة بعد اختيار الريف كمركز للنشاط وهذا

---

[1] –زبيري ، التجارة الخارجية....، ص27.

[2] –أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي، ج01 ، ص482.

[3] –Dr.Shaw ، p101.

[4] –أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص482.

[5] – السعيدوني/البوعبدلي ، المرجع السابق، ص137.

[6] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج01 ، ص513.

[7] – نفسه ، ص472.

لبساطة عقلية السكان ، إضافة إلى تسابق القبائل على اتخاذ مرابط لتدعيم مركزها وجلب المنفعة لها ببركته التي جعلت وراثية في العائلة المرابطين فأدى هذا إلى كثرة المرابطين[1]، الذين يعتبرون من الإشراف أو إدعو الشرف، وهو ما جعل الناس يتسابقون للإنتماء إليهم، خاصة بعد اضطهاد العثمانيين لهم وإرهاقهم بالضرائب، فوجدوا في الطرق الصوفية البديل[2]، نتيجة للفراغ السياسي وقلة الأمن[3].

وقد ظهر أعلام أخذ بالتصوف لكنهم ابتعدوا عن الدروشة والخرافات ، بل صاروا أئمة يحتذى بهم في الإنتاج الفكري والثقافي أمثال: محمد ابهلول، سعيد قدورة، شيخ عيسى الثعالبي[4].

المبحث الخامس: اجتماعيا

انعكست الأزمة السياسية وحالة التفكك السياسي التدهور التي ميزت عهد الدايات وكانت أول نتيجة ترتبت عن هذه الأوضاع هجرة عدد من علماء البلاد إلى الأقطار الإسلامية، والتي يمكن حصرها في النقاط التالية:

1. طلب العلم: تميز العلماء والمثقفون الجزائريون عامة بكثرة التنقل إلى منابع ثقافتهم لإثراء معارفهم وتنويع مصادرهم، فكانوا يتنقلون بين أرجاء الدول العربية مشرقاً ومغرباً للتوسيع ثقافتهم العلمية والمعرفية، وكانوا يلازمون مشاهير العلماء والشيوخ في النوادي والمراكز الثقافية المنتشرة في العالم الإسلامي وبعد التحصيل ونيل الإجازات يعود بعضهم إلى بلدهم لنشر علمهم ومعارفهم بين أبناء وطنهم وهناك من كان يفضل البقاء والاستقرار

---

[1] – الفيلالي ، مرجع سابق، ص25.

[2] – نفسه ، ص59.

[3] – أبو القاسم سعد الله.شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي بيروت،1986، ص37.

[4] – عبد الله العياشي ، رحلة العايشي(ماء الموائد)_وضع فهارسه: محمد حجي، الرباط ، طبعة حجرية ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والشر ، 1977 ، ج01 ، ص126.

بإحدى الدول الشقيقة حيث يتقلد فيها منصباً معينا مثل: التدريس والإفتاء والقضاء وغيرها...[1].

2. أداء فريضة الحج: إن معظم العلماء الذين كانوا يتوجهون إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، يجعلون من تلك الرحلة مناسبة للاحتكاك بالعلماء المسلمين المتوافدين وكان يحدث هناك تبادل ثقافي وعلمي فيما بينهم ، وكان العلماء الجزائريين يتوقفون بالعواصم العربية لأخذ العلم إعطائه مثل الزيتونة بتونس، طرابلس، الإسكندرية، دمشق، المدينة المنورة، مكة المكرمة...، وكان أصحاب تلك الرحلات غالبا ما يسجلون ملاحظاتهم في مؤلفات التي تعرف بالرحلات الحجازية[2].

3. الهجرة الإجبارية: لقد اضطر بعض العلماء والمثقفين الجزائريين إلى ترك بلادهم ليستقروا في إحدى الدول العربية أو الإسلامية وما ترتب عليها اضطرابات فكلما ذاقت بهم السبل في بلدهم انتقلوا إلى إحدى الدول التي توفر لهم الأمن والاستقرار ، وكان في بعض الحالات يستضيفون بعض العلماء المضطهدين في دولهم أو الناقمين من حكمها ليضفهم ضد خصومهم داخليا وخارجياً[3]

واتخذ العلماء الجزائريون بعد أن عرفت الحياة الثقافية ركودا في بلدان المغرب والأقطار المشرقية ولاسيما مصر قبلة لهم لكونها كانت منذ ظهور المذهب المالكي، منعا لمعظم المؤلفات المتداولة في الفقه المالكي، فهناك عدد كبير من العلماء والطلبة الذين زاولوا تعليمهم بالأزهر[4].

---

[1] – الحفناوي ، مصدر سابق _، ص57.

[2] – أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، طبعة 3، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،1990، ج 04، ص177.

[3] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1998 ، ج09 ، ص382.

[4] – العيد مسعود ، العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق في العهد العثماني ، مجلة سيرتا، يصدرها معهد العلوم الإسلامية ، بجامعة قسنطينة، العدد01 ، السنة 1979، ص46.

وبالرغم من عدم الأسباب المشجعة لاستقرار العلماء في الجزائر فان جذوة الثقافة لقيت موقدة بفضل بعض العلماء الذين فضلوا المكوث في الجزائر لمواصلة نشاطهم العلمي ومواجهة كل الصعاب التي تعترض سبيلهم[1].

إن الجزائر كانت تزخر بحشد من العلماء إلا أن الاضطرابات والفتن التي عرفتها الجزائر في هذه الفترة جعلت نخبة من العلماء إن لم تهاجر تفكر دائما في الهجرة لأنه في نظرهم الوضع الثقافي والسياسي اللذين كانوا يعيشونه لا يساعدهم على الاستقرار و الإنتاج الثقافي، حيث تسبب هجرة العلماء في إفراغ الجزائر من قواعدها العلمية وركائزها الأدبي.

[1] – أرزقي شويتام ، مرجع سابق ، ص331.

تمهيد:

أولا: بناء المراكز الثقافية والمساهمة في الوقف

ثانيا:أشهر الحكام المشجعين للثقافة

سنحاول في هذا الفصل معرفة مال إليه التعليم ومدى اهتمام الحكام لهذا الجانب وذلك من خلال مؤسسة الوقف .

تعريف الوقف:

هو تحبيس مالك مطلق التصرف ماله المنتفع به مع بقاء عينه بقطع تصرف الواقف وغيره ,ويصرف ريعه إلى جهة برا وتقربا إلى الله تعالى.[1]

الدليل على مشروعية الوقف :

قال الله تعالى :"لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم "[2]

قال تعالى:" ويسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين و الأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله يعلمه وما للظالمين من أنصار" [3].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث, صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له" [4].

والمعروف أن الإسلام قد حث على الإنفاق والأعمال الخيرية,وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم الإنفاق أكثر من الزكاة والصدقة وورد ذكر الزكاة في 26 آية والصدقة في عشر آيات أما الإنفاق فذكر في 44 آية ,إن أعمال البر والخير مجالها واسع كإقامة المساجد وإنشاء الدور للمحتاجين ، واليتامى والمسنين وبناء المستشفيات ، ومؤسسات لنشر العلم

[1] – خالد بن علي المشيقيح ، الأوقاف في العصر الحديث ، دار المعرفة ، بيروت ، ص 4 .

[2] – آل عمران ، الآية 92

[3] – البقرة ، الآية 270.

[4] – محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت برقم 1432.

كالمدارس والجامعات , ويمتد تأسيس الأوقاف إلى عهد الصحابة والتابعين وهي مستمرة إلى يومنا هذا [1].

لقد تعددت المؤسسات الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني ,و اختلفت مشاربها و أدوارها حسب اختصاص كل واحدة منها لكن بمجملها أعطتنا تلك الصورة لما عرفه النشاط الثقافي بالجزائر .

أهم مؤسسات الأوقاف و دورها الثقافي بالجزائر خلال عهد الدايات :

إن البناء المؤسساتي للأوقاف لم يكن بالأمر السهل ,فتسيير الأوقاف وإدارة الأحباس بالجزائر العثمانية متعلق بدءا ببناء المساجد وحبس العقارات لها لتأمين خدماتها وخدمة العلم والدراسة ، فضلا عما يتعلق بصيانتها والإنفاق على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والمحلات وشتى الأملاك وتمتين شبكة التضامن والتكافل الاجتماعي[2] .

ليخفى علينا أن الجزائر العثمانية عرفت مذهبين في الفقه الإسلامي , المذهب الحنفي [3] ,والمذهب المالكي [4] وبالرغم من ذلك عرف التعايش بينهما ,وحتى أن أكثر سكان الجزائر المالكية وضعوا وقفهم حسب المذهب الحنفي نظرا لما يتيحه هذا المذهب من مرونة وديناميكية[5] .

---

[1] – محمد ابن إدريس الشافعي ، الأم ، دار المعرفة ، بيروت ، 1393هـ ، ص 51 .

[2] – محمد البشير الهاشمي مغلي , التكوين الاقتصادي لنظام الوقف في الجزائر ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي ، مجلة المصادر ، المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، عدد6 ،2002 ، ص161.

[3]- ينسب إلى أبي حنيفة النعمان (150/80هـ) يعد المذهب الأكثر انتشارا في العالم ,ويعد أبو حنيفة أول من دون علم الشريعة ورتبه أبوابا ثم تبعه الإمام انس ابن مالك في ترتيب الموطأ....الأمين شريف يحي ، معجم الفرق الإسلامية ، دار الأضواء ، ط1 ، بيروت ، 1406هـ/1986م ، ص 108.

[4] – أحد المذاهب الإسلامية السنية الأربعة نسبة للإمام أنس بن مالك ,يعد مذهبه وسطا معتدلا بين أهل الرأي والحديث وذلك لكثرة إسناده إلى الأحاديث النبوية الشريفة ,ينتشر أساسا في شمال إفريقيا...الأمين شريف يحي ,مرجع سابق ،269.

[5] – فارس مسدور وكمال منصوري ، التجربة الجزائرية في إدارة الأوقاف (التاريخ والحاضر والمستقبل) ، مجلة أوقاف ، العدد 5 ، الجزائر ، نوفمبر 2008 ، ص 4.

يعتبر الوقف أحد مظاهر الحضارة العربية الإسلامية لأنه يستمد وجوده و استمراره من الأحكام الشرعية ومن تكافل أفراد المجتمع استجابة لحاجة الفرد والجماعة [1] .

عرفت الجزائر ظاهرة الوقف قبل مجيء العثمانيين [2]حيث أن الأوقاف تركزت في المدن قرب المناطق التي يدين سكانها بالولاء للزوايا والطرق الصوفية وكان أغلبها وقف أهلي تتقاسمها المؤسسات الدينية[3] لأن الوقف كان وسيلة للجزائريين للحد من جور الحكام و أطماعهم وهذا يبرز لنا علاقة الحاكم بالمحكوم[4] .

أما الأرياف فكان أغلبها وقف خيري يعود مرددوها لصالح المؤسسات الدينية والثقافية من زوايا ومساجد وأضرحة [5] .

إن نظام الوقف أوجد نوع من الوحدة الثقافية لأنه مورد رئيسي لهذه المؤسسات [6]فلا نكاد نجد مدينة أو قرية بالجزائر تخلو من أملاك ذات مردودية تنفق على المراكز الدينية والثقافية [7] .

كما أنها تبقى أبدية لما عينت عليه فلا يجوز بيعها أو استرجاعها, ويشرف على إدارة هذه الحبس مجموعة من الإداريين منهم الوكيل ,عدليان أو مساعدين للقاضي اللذين يعينهما بنفسه حتى يضفيان الصفة الشرعية للوثائق المتعلقة بالحبس إضافة إلى الخدام

---

[1] – نصر الدين سعيدوني ، الأوقاف بفحص مدينة الجزائر ,دراسات إنسانية ،عدد خاص بالوقف ،ماي 2001 ،ص 30.

[2] – عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ط6 ، دار الثقافة ، بيروت ، ج 3 ، 1983 ، ص 422 .

[3] – نصر الدين سعيدوني ، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،2001 ص 61.

[4] – نفسه، ,ص 189.

[5] – نصر الدين سعيدوني ، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي ، دراسات تاريخية ، عدد5 ، ص 62 .

[6] – مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، تقديم محمد الميلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ج3 ، 1986 ، ص 318 .

[7] – عبد الحميد مزيان ، المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار ، سرتا ، العدد 51 ، 1986 ، ص 11.

كالسايجي ، باش شاوش ...هؤلاء الموظفين احتكرت عائلاتهم الوظائف المرتبطة بالوقف وأصبح لها نفوذ خاص , خاصة بعدما وسع المجلس العلمي من صلاحيات القائمين القائمين عليها حتى أصبحت إدارة الوقف إحدى وسائل القوة المادية لهم ووسيلة متوارثة [1] .

كما تجدر الإشارة أن الوقف لم يقتصر على العنصر الذكري بل حتى النساء كن يحبسن أملاكهن إذ يذكر بويي أنه وجد 22 امرأة حبسن أملاكهن للمسجد الكبير ,وهذا دليل على وعيهن بأهمية الحبس للفائدة العامة ودليل علـى تمتـع المرأة بوعي ومستـوى ثقافي ، ولو كان أدنى ,كمـا أن هذا كان تقربا مـن الله [2] .

وقد عرفت هذه الظاهرة الحضارية تطورا بالجزائر خلال العهد العثماني ,لاعتبارات سياسية واقتصادية حتى أصبحت أحباس مدينة الجزائر وقسنطينة وتلمسان أغلى أحباس العالم الإسلامي ,وشملت هذه الأحباس المساكن , الدكاكين ومصانع النسيج و الأفران والفنادق والأراضي الزراعية .

وحتى الكتب كانت توقف سواء من طرف الحكام أو الجزائريين فهناك من يشتريها وهو جاهل لمحتواها فيوقفها على المساجد كصدقة وتقربا من الله تعالى [3] .

ويرجع تكاثر الوقف خاصة خلال القرن الثامن عشر ميلادي (18م) إلى فتاوى العلماء التي شجعت على زيادة الوقف ، خاصة على المذهب الحنفي ,والروح الدينية وسياسة الحكام ,وتأثير رجال الدين ، كما أن الظروف الصعبة التي عرفتها الجزائر خلال القرن الثامن عشر ميلادي (18م) أدت إلى تعسف الحكام وإصدار قوانين العزل ، والتغريم

[1] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 227 .

[2] – نصر الدين سعيدوني ، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية ، ص 187/186.

[3] – ابن سحنون ، المصدر السابق ، ص 58.

والمصادرة ، ومد يدهم على ممتلكات الجزائريين وهو السبب الذي دفع بهم إلى تحبيس أملاكهم [1] .

وبسبب تكاثر الوقف عمد الأتراك إلى تنظيمها وهذا بإنشاء إدارة محلية ,يتولاها المفتي وينظر في أمورها مجلس علمي يضم علماء وتتوزع على عدة مؤسسات دينية وتعليمية وخيرية أهمها:

أولا : مؤسسة الحرمين الشريفين

استحوذت على غالبية الأوقاف بداخل وخارج الجزائر وقدر عددها ب (1558) عقار أي ثلاثة أرباع مجموع العقارات المحبسة بمدينة الجزائر حيث قدر مدخلها سنة 1837 م ب 143.33 فرنك أي ما يعادل 434.67 غرام من الذهب الخالص ، وفي الفترة مابين (1814/1803) ب 74 منزل و 76 مخزن[2] .

لقد كانت هذه المؤسسة تمثل الوجه السياسي للجزائر في العالم الإسلامي لان عوائدها توجه بالدرجة الأولى إلى فقراء مكة والمدينة ، ثم إلى المحتاجين بالجزائر وكذلك لعتق الأسرى المسلمين ، كما أنها تنفق على ثلاث مساجد حنفية كمسجد مغرين وجامع ميزومورطو ، وجامع علي بتبشين ,وتشترك مع مؤسسة أهل الأندلس في 62 وقف ، أما مع الجمع الكبير فتشترك معه في 69 وقف[3] .

[1] – نصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (الفترة الحديثة والمعاصرة_) ، المؤسسة الوطنية للكتب ، الجزائر 1988، ص 43.

[2] – نصر الدين سعيدوني ، الأوقاف بفحص مدينة الجزائر ، مرجع سابق ، ص 34 .

[3] – مصطفى حموش ، المدينة والسلطة في الإسلام ، نموذج الجزائر في العهد العثماني ، ط1 دار البائر ، دمشق ، 1999 ، ص 20 .

ثانيا : أوقاف الجامع الكبير

لعبت أوقافه دورا بارزا في الحياة الثقافية والدينية ,احتلت المرتبة الثانية بعد أوقاف الحرمين الشريفين ، وهي تعنى بالمساجد المالكية وكان عدد أملاك الجامع الأعظم حسب تقرير فرنسي تقدر ب125 منزل و 31 دكان و 3 أفران و 19 بستان ، ويستفيد من مدا خيل كرائها إمامان ,و19 مدرسا و 18 مؤذن و8 حزابين و 13 قيما (خدام) بالإضافة إلى أعمال الصيانة ، بدأ التحبيس به منذ عام (1540م) حيث كان رصيده حبسا واحدا ليرتفع بعد 60 سنة أي سنة 1600 إلى 13 حبسا ليرتفع سنة 1800 إلى 157 حبسا ، أما بين 1841/1800 م وصل عدد أحباسه إلى 227 حبسا [1] .

ويذكر الأستاذ" سعيدوني" كذلك أنه قبل الاحتلال الفرنسي وصلت أحباسه إلى 550 وقفا ، مقارنة بأوقاف المساجد الحنفية التي تبلغ 331 وقفا,فكثرة أوقافه تعود إلى دوره الأساسي في الحياة الثقافية الدينية [2] والى كثرة المساجد المالكية بمدينة الجزائر التي وجد بها 92 مسجدا مالكيا ، وكل مسجد يمول من أوقافه الخاصة التي تشمل الحوانيت ، الدكاكين ، البساتين وكل هذا تحت إشراف المفتي المالكي وبمساعدة الوكيل[3] .

ثالثا : أوقاف سبل الخيرات

تذكر المصادر أن مؤسسها كان شعبان خوجة سنة (1583م – 999هـ)[4] وهي مخصصة للإنفاق على المساجد الحنفية بمدينة الجزائر التي يبلغ عددها 8 مساجد ، وعدد أوقافها 331 حبسا منها 119 ملكية عقارية و 212 فناء مدخولها السنوي 180 فرنك ،

[1] – نصر الدين سعيدوني ، نفسه ، ص 35.

[2] – نصر الدين سعيدوني ، الوقف ومكانته ...مرجع سابق ، ص 64.

[3] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 236 – 237 .

[4] – التميمي ، مرجع سابق ، ص 19.

وهذا راجع إلى قلة المساجد الحنفية , والى غنى الكراغلة[1] والأتراكأ المنتسبين الى المذهب الحنفي ,كان يشرف عليها المفتي الحنفي ويساعده 11 مؤطرا أغلبهم من رجال العلم [2] .

مثلما تشرف هذه المؤسسة على الأوقاف الموجهة للفقراء والطلبة والعلماء أنشأت كذلك الجامع الجديد الحنفي[3] ، وجامع كتشاوة وجامع علي بتشين [4]وجامع باب الجزيرة كما أنها تدفع مرتبات حوالي 80 طالب ملحقين بالمساجد التابعة لها كجامع صفر[5] وجامع دار القاضي حيث تبلغ نفقاتها السنوية 14583 فرنك سنويا مقابل مدخول 16 ألف فرنك [6]

إضافة إلى هذا نجد عدة جوامع حنفية لها أوقاف مرتفعة مثل جامع ميزوموروطو الذي بلغت أوقافه 130وقف وجامع عبدي باشا 134 وقفا أما جامع علي باشا بلغت أوقافه 142 وقف وجامع خضر باشا139 وقف وكان هذا سنة (1767م_ 1184هـ) .[7]

---

[1]–تعد من أهم الفئات الاجتماعية في بعض المدن الجزائرية تمتعت بامتيازات مادية مثل تعيين أفرادها في مناصب الدولة والتمتع ببعض التسهيلات وإعفائهم بعض الضرائب...أرزقي شويتام ، مرجع سابق ، ص 58.

[2] – نصر الدين سعيدونيى ، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800.1830) ش .و.ن.ت ، الجزائر ، 1979 ، ص 164.

[3]- جاءت تسميته عبارة عن صفة له بالنسبة للجامع الأعظم بني هذا الجامع ذو المذهب الحنفي في مكان مدرسة بوعنان وشارك في بنائه العسكر على نفقة منظمة سبل الخيرات وذلك سنة 1660م/1080هـ انظر الملحق (2)ص 82.....خيرة بلة ، مرجع سابق ، ص 69.

[4]- ما زاد في أهمية المسجد أنه بنى من طرف العلوج وهذا دليل على أنهم يعملون لصالح الإسلام بعد اعتناقهم له يقع في نهج باب الواد بني خلال القرن 17 م نظر الملحق (3) ص 83...خيرة بن بلة ، مرجع سابق ,ص 110

[5]- في مدينة الجزائر شيد في رجب عام 1543م/940هـ من أموال تطوع بها أحد المسيحين الذي كان عبدا لدى الحاكم خير الدين بربروس وأصبح يسمى بالقائد صفر ابن عبد الله .انظر الملحق(4) ص 84.... خيرة بن بلة ، مرجع سابق ، ص 63.

[6] – نصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي ، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 199م ، ص 25 .

[7] – أبو القاسم سعد ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، ص 24.

رابعا : أوقاف الأولياء وأشراف وأهل الأندلس

تتنوع أوقاف المرابطين بفحص المدينة الجزائر على تسعة أضرحة مشهورة منها من بين 18 ضريح[1] بمدينة الجزائر أشهرها أوقاف سيدي عبد الرحمان التي بلغ عددها بداية الاحتلال الفرنسي 69 وقفا ومنها 11 عقار تدر سنويا 6 آلاف فرنك وتأتي بعدها زاوية الوالي دادة [2] .

أما الأشراف الذين يتشكلون من 300 أسرة بمدينة الجزائر كانت لهم امتيازات معنوية أكثرها منها مادية ،حيث بنى لهم محمد بكداش زاوية سنة(1709م_1112هـ). عرفت بزاوية الأشراف وقد أوقف لصالحها أحباسا كثيرة.

أما أوقاف الأندلس فلا تقل أهمية عن أوقاف الأولياء و الأشراف وهذا راجع إلى استقرار العديد منهم بالجزائر وامتلاكهم لثروات ضخمة نتيجة لنشاطاتهم المختلفة الصناعية والتجارية والزراعية وأعمال الجهاد البحري ,وقد خص كثير منهم جامع الأندلس و الزواية الملحقة به الكثير من الأوقاف بلغت 40 ملكية و 61 فناء تساهم بمجملها بمردود مالي تضاءلت أهميتها أواخر العهد العثماني [3] .

---

[1]–الضريح هو الشق وسط القبر أما إذا كان الشق في جانب القبر فيسمى لحدا ,وسمي الضريح لأنه يشق في الأرض شقا ,وقد يسمى القبر كله ضريح كما قد يسمى القبر الذي بلا لحد ضريحا وهو مدفن لسلطان أو أمير أو رجل صالح أو أي إنسان آخر له مكانة تدعو إلى تخليد ذكراه ,تعلو بناء الضريح قية تختلف عن قباب الأبنية الدينية والمدنية الأخرى .....سامي محمد نوار ، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من بطون المعاجم اللغوية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 2002 ، ص 112.

[2] – نصر الدين سعيدوني، الوقف ومكانته_... ، ص65 .

[3] – فلة موساوي القشاعي ، أوقاف أهل الأندلس بمدينة الجزائر أثناء العهد العثماني ، دراسات الإنسانية ، عدد خاص بالوقف ، ماي2001، ص170.

لقد استعملت الأوقاف في العهد العثماني في عدة أغراض أهمها تدعيم التعليم بمختلف مستوياته فكانت مصدر عيش الزوايا والأضرحة ومصدر نمو المساجد والمدارس والكتاتيب ومعيشة العلماء والطلبة ، بحيث تدفع لهم مرتباتهم من الوقف إضافة إلى أعمال الصيانة وتراث الزارابي و الأفرشة بهذه المؤسسات وكانت كل هذه المصاريف تحت مراقبة القاضي [1]

ولهذا وبفضل الأوقاف لم يرى الحكام ضرورة لرعاية المؤسسات الثقافية والدينية من مال الخزينة لأن مردودها كان ممول الوحيد لرعاية أماكن العبادة والتعليم ببوادي وحواضر الجزائر فمثلا مدينة الجزائر كان بها 106 مسجد المسجد الكبير وحده يقوم بخدمته 19 مدرس و18 مؤذن و8 حزابيين و13قيما ،أما قسنطينة فيها 35 مسجدا و169 زاوية و1 مدرسة رئيسية يدرس بها 700 طالب منهم 150 من الريف لهم المنحة سنوية من الأوقاف تقدر ب 36 فرنك للطالب[2] .

كما أن مسجد صالح باي كان دخله يقدر ب 491 ريال في حين كان مصروفه يقدر ب 408 ريا ل كما كانت زاوية نقاوس تنفق على 200 طالب ونفس الشيء بالنسبة لزاوية الصهاريج ببلاد القبائل التي ترعى شؤون 500 طالب، أما بمدينة الجزائر فوجدت بها ستة زوايا مخصصة إقامة الطلبة واحدة فقط مخصصة لطلبة المدينة أما الباقي فخصصت للطلبة الوافدين إليها من شرق البلاد وعربها[3] .

الجدير بالذكر أن الفائض المردود هذه الأوقاف كان يصرف في إنشاء مراكز جديدة مثلما هو الحال بالنسبة لزاوية الجامع الكبير بمدينة الجزائر التي شيدت عام 1630م بفضل فائض الأوقاف حيث تضم طابقين من الغرف للمتمدرسين والمدرسين[4] .

---

[1] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1500 _ 1800)،ج 1، ص230 – 231.

[2] – نصر الدين سعيد وني، الوقف ومكانته ، ص67.

[3] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 242.

[4] – نفسه ، ص388 – 389.

المبحث الأول : بناء المراكز الثقافية والمساهمة في الوقف

لقد تجلى احترام العثمانيين وتقديريهم للعلماء ومحاولة التقرب منهم في بناءهم للعديد من الزوايا والمساجد في كل من المدن والقرى وأوقفوا عليها أملاكهم اعتمادا منهم على المنطق التضامن الإسلامي وهذا دليل على محاولتهم خلق الإطار للتواصل مع الأهالي عن طريق السلطة الروحية[1] .

لقد اشتركوا أحكاما وجنودا وكراغلة في إقامة هذه المؤسسات وتأمين الموارد أيضا لي صيانتها وإنفاق على إقامة الشعائر الدينية فيها بحبس ثرواتهم على المشاريع الدينية [2] .

بالرغم من اهتماماتهم الحربية إلا أن عقيدتهم الدينية تجلت في بنائهم المساجد والمدارس وكذالك الأوقاف[3] ، وهذا كجزء من عملهم لخدمة المجتمعات الإسلامية وكذلك لجلب الموالاة الرعية او ربما للشهرة بحيث لا نكاد نجد حاكما بقي لمدة طويلة في الحكم إلا وبني مسجدا أو زاوية أو حبس لها وقفا ونذكر هنا الداي بابا حسن(1686_1683م) بنى جامع كتشاوة وأوقف له أماكن وعقارات كثيرة كما عين بها سبعة وأربعون موظفا وحدد مرتباتهم [4] .

فأغلب المساجد التي شيدت بمدينة الجزائر قد شيدت مابين القرنين 17و18م كما أغلبها بني على أنقاض مراكز الدينية سابقة كجامع الجديد التي بني مكان المدرسة البوعنابية وجامع علي باشا الذي أسس سنة 1758م مكان الزاوية سيدي لكحل التي شيدت

---

[1] – محفوظ قداش ، الجزائر في العهد التركي، الثقافة ، عدد52 ، 1977 ، ص10-11.

[2] – شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية،تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة الدار التونسية للنشر، تونس ، 1978 ، ص376.

[3] – شعيب محمد مهدي، أم حواضر في الماضي والحاضر، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1980 ، ص211.

[4] – أبو القاسم سعد الله ، نفسه ، ص192.

سنة 1669م إضافة إلى هذا هناك من عمل على تجديد المساجد ك محمد باشا الذي جدد مسجد السيدة [1] .

ونفس الظاهرة في البوادي ,حيث ساهم رجال السلطة بدورهم في بناء المراكز الدينية ، فنجد الباي علي (1715م/1710) قد شجع الزوايا وفتح المدارس كما بنى الباي بوحنك الجامع الأصفر عام 1743م ,حيث كان يدرس فيه نحو ثمانية مدرسين كما أذن ببناء مدرسة قربه [2] .

أما بايلك الغرب فأشهرهم الباي محمد الكبير الذي أصلح مساجد معسكر و بنى مشاهد الأولياء ,كضريح الوالي محمد بن عودة والوالي أحمد بن يوسف الملياني[3] ,كما بنى للعالم الفقيه محمد علي أبو طالب المازوني[4] بعد الفتح الثاني لوهران ولطلبة المدرسة الفقهية بمازونة ، وأهداه جزء من صحيح مسلم[5] .

ومن أجل كسب تأييد رجال الدين سعى بعض الحكام إلى أخذ نذور على أنفسهم مثلما فعل الباي حسين بن صالح عام 1807م , حيث أخذ على نفسه نذرا تعهد فيه ببناء دار الوالي سيدي علي وكذلك دار سيدي محمد بن سيدي السعيد وإصلاح مسجده حتى يضمن تأييد السكان له في حملاته على الجهات الشرقية لبايلك قسنطينة في حين وجد من قام بهذا

---

[1] – نفسه ، ص 192.

[2] – سعيدوني ، دراسات وأبحاث ..... مرجع سابق ، ص 152.

[3]- متصوف صالح تنسب إليه الطريقة اليوسفية ولأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد علي الصباغ القلعي كتاب عرف فيه بالملياني سماه "بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار .....عادل نويهض , مرجع سابق ، 316

[4] – محمد بن يطو بن أبي القاسم فقيه نحوي له مشاركة في علوم الحديث والتفسير والمنطق والبيان له "تقييدات " على جمع الجوامع لابن السبكي وقصائد في رثاء ومدح مشايخ زاوية أبي داود ...عادل نويهض ,نفسه ,ص 280.

[5] – ابن هطال التلمساني ، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785م ، تقديم محمد بن عبد الكريم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 2004 ، ص 26 .

وفاءا منه للمرابطين اللذين ساعدوه كالأغا يحي بن مصطفى الذي بنا مسجد جمعة الصهاريج[1] .

والباي محمد الذباح الذي بني في القرن 18 ميلادي قبة ضريح المرابط سيدي علي موسى ماله الخاص وقد كانت النتيجة المترتبة على هذه السياسة ازدياد عدد الزوايا في غالبية مناطق الايالة [2] .

فقد أحصى الورثلاني حوالي 50 زاوية بزواوة ونحو 20 زاوية بمدينة بجاية وضواحيها [3] وبما أن العثمانيون رأوا في الرابطة الدينية عاما قويا لبسط نفوذهم وتدعيم مكانتهم لدى الأهالي ، الأمر الذي دفعهم إلى تحبيس أملاكهم إما تقوى أو ورعا أو من أجل الخلود والذكر الحسن أو تقربا للمرابطين وكسب تأييد السكان وبهذا كان الوقف خير وسيلة لتأكيد نفوذهم وبسط حكمهم وتعزيز الرابطة الروحية مع السكان خاصة مع فئة العلماء والمرابطين حتى لا تثور عليهم الحركات المعادية [4] .

فالوقف في العهد العثماني لم يكن موردا هاما لرعاية ودعم الثقافية فقط بل كان كذلك وسيلة استعملها الحكام لجلب مرابطي القبائل [5] .

[1] – سعيدوني ، الوقف ومكانته ...ص 64

[2] – نصر الدين سعيدوني ، الوقف ومكانته .... ، ص 59 .

[3] – الورثلاني ، مصدر سابق_ ، ص 266.

[4] – عبد الرحمن الجيلالي ، مرجع سابق ، ص 200.

[5] – نفسه ، ص 201 .

المبحث الثاني : أشهر الحكام المشجعين للثقافة

المطلب الأول : الداي محمد بكداش 1707-1710م

هو محمد بن أبي الحسن نور الدين بن علي بن محمد ,عربي الأصل ينتمي إلى أل البيت سماه والده بكداش تيمنا بشيخ البكداشية لأنه متصوف أخذ الصوفية على الشيخ قاسم بن محمد البوني والد أحمد قاسم البوني الذي كانت له مراسلات معه[1] .

نشأ محمد بكداش نشأة علمية دينية [2] فكان يدرس العلم وينظم الشعر بالعربية ويخطب بها ويتقرب كثيرا للعلماء لذا وصفه كل من كتب عنه بعالم الأمراء و أمير العلماء [3] .

وهذا ما أورده أحمد توفيق المداني نقلا عن كتاب " الشهب المحرقة " لأبي زيد عبد الرحمن التلمساني أن محمد بكداش عالم وفقيه مشارك في عدة فنون من العلوم والمعارف , ماهر في علم اللسان [4] .

بعد قدومه إلى الجزائر من أناضوليا سنة 1086هـ 1674م التحق أول مرة بالجندية بعدما ترقى في عدة مناصب حكومية كحامل راية العسكر ,موظف لتقسيم الخبز على الجند ليترقى سنة 1117هـ / 1705م ويصبح دفتر دار (كاتب عام) ثم عين دايا على الجزائر سنة 1119هـ / 1707م كما تولى الخطابة في بعض مساجد مدينة الجزائر عام 1692م [5]

لكن حساده وشو به لدى الباشا الذي نفاه إلى طرابلس الغرب ثم الى تونس ، ولما تولى الحكم أحاط نفسه بالعلماء والشعراء و الأدباء بمدينة الجزائر ، كما كانت له صلة مع

---

[1] – أبو القاسم سعد الله ، أربع رسائل بين باشاوات الجزائر وعلماء عنابة، الثقافة ، الجزائر ، ج9 ، 1979 ، ص 30 – 31 .

[2] – نفسه ، ص 17.

[3] – عبد الرحمن الجيلالي ، مرجع سابق ، ص 207.

[4] – أحمد توفيق المداني ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492/1792م)،ش و ن ت ، دار البعث ، قسنطينة ، ط1 ، 1965م ، ص 455 .

[5] – ابن ميمون الجزائري، مصدر سابق ، ص 120.

عائلة البوني وكذا أغلب علماء قسنطينة وتلمسان وربما لهذه الأسباب ظهر التفاف الناس الكبير حوله وتوحدهم والعلماء بهدف الجهاد خاصة بعدما شاع عنه عزمه على الجهاد فعمله على استرجاع وهران رفعه في أعين العلماء والعامة .

ويتجلى دوره في الثقافة أكثر من خلال تأسيسه لزاوية الأشراف التي خصص أجورا للقائمين عليها من مدرس ، امام مؤذن حزابين ، كما عين لها وكيلا لرعاية شؤونها كما كانت للداي بكداش مراسلات مع العلماء كأحمد بن قاسم البوني الذي كافاه بعدما هنأه على انتصاره [1] .

وبالرغم من تقربه من العلماء ومجالستهم فهذا لم يمنعه من قتل ولدي المفتي الشهير سعيد قدورة , ولم يسلم هو كذلك من القتل بعدما عجز عن دفع أجور الجند وهذا بسبب تأخر باي قسنطينة في دفع الدنوش [2] .

المطلب الثاني : صالح باي 1771م/1792م

لقد حكم بايلك قسنطينة كغيره من مقاطعات الجزائر أواخر العهد العثماني حكاما منهم من تميز بحسن السلوك , وكفاءة التسيير فحاول المحافظة على مصالح الدولة والتكفل برعاية السكان والتخفيف عن شقائهم وذلك عبر ما أتخذه من إجراءات ملائمة وما أقره من تنظيمات مفيدة مثل صالح باي الذي دفعه إخلاصه إلى مواجهة مصاريف الإنشاء العمومية بأمواله الخاصة [3] .

يعد صالح باي من أشهر بايات قسنطينة عرف بسداد الرأي وحسن التسيير والاعتناء بشؤون الرعية فقد قال عنه العنتري : " كان رجلا عاقلا سيرته مليحة وسياسته مستحسنة وحميدة ، يسمع كلام الشاكين وينصر المظلومين يحب عم الخير ويرتضيه

[1] – ابن ميمون الجزائري ، مرجع سابق ، ص 122.

[2] – أبو القاسم سعد الله ، أربع رسائل ... ص 20.

[3] – عبد الرحمن الجيلالي ، مرجع سابق ، ص 218.

ويسعى في صلاح العباد ويعتني بأمورهم ، أجرى الصدقات على الفقراء فنال من الخيرات ما لم ينله أحد البايات قبله ولا بعده [1] .

ازدهرت الحياة الفكرية في عهده ، خاصة بقسنطينة ويرجع هذا إلى تشجيعه لرجال الفكر وإنشائه المؤسسات التعليمية من مساجد ومدارس في عنابة وقسنطينة مثل مدرسة سيدي لخضر قرب المسجد المسمى بهذا الاسم لدراسة النحو والفقه والتفسير والتوحيد [2] .

كما شيد مدرسة سيدي الكتاني [3] عام 1190هـ 1776م لتعليم مختلف العلوم وتسمى بالمدرسة الصالحية وهي ملاصقة لمسجد الكتاني [4] المدفون به ,ولقي عمله هذا رضى الناس خاصة العلماء فأشد بعضهم شكرا وتخليدا

طاب الزمان لمن يوالي نفعه للمسلمين زاده في علياه
ملك يوم الصالحات يعد له فاختار آخرته على دنياه
أحيا دروس العلم بعد درسها وبنى لها دار أزكى مبناه
جاءت بها نفس المعظم صالح ذلك المجاهد يبتغي مولاه

وقد اختار لها مشايخ للتدريس من خواص العلماء وأجرى لهم العطايا وهذا لتدريس التفسير ، الحديث ، الفقه ، الأصول ، النحو المنطق وقد تخرج منها عدة علماء [5] .

---

[1] – محمد صالح أبن العنتري ، مصدر سابق ، ص 68–69 .

[2] – شعيب محمد المهدي ، مرجع سابق ، ص 240 .

[3]– تقع في شمال المدينة القديمة وتحد سوق العصر من الشمال ويمكن الوصول الى هذه المدرسة من خلال العديد من الشوارع أهمها شارع بن شعلال اسماعيل وشارع الإخوة منتوري بنيت المدرسة سنة 1780 م من طرف صالح باي انظر الملحق (5)ص 85 .... خيرة بن بلة مرجع سابق ، ص 80.

[4]-يقع في نهاية شارع كرامان بساحة سوق العصر بني سنة 1776م/1190هـ انظر الملحق (6)ص 86....خيرة بن بلة ، مرجع سابق ، 129.

[5] – عبد القادر نور الدين ، مرجع سابق ، ص 243.

أنفق صالح باي أموالا طائلة على مسجد سيدي الكتاني ومدرسته التي أوقف عليها أوقافا منها عدد هام من الكتب كما وضع لها مدرسين وثمانية طلبة ووكيل بها خمسة غرف واحدة للمدرسين وأربعة للطلبة ، وتم تخصيص منح للطلبة وتجهيزها بكل المرافق وقد استحدث نظاما دقيقا ليسمح للمدارس بتأدية وظيفتها الثقافية وكان هذا النظام مفروضا على الطلبة والمدرسين ومن القوانين التي وضعها :

- لا يقبل في المدرسة إلا ممن حفظ القران عن ظهر غيب

-يشترط فيه ألا يكون متزوج حتى يتفرغ للدراسة فقط.

- لا يسمح للطلبة المبيت خارج المدرسة إلا للضرورة القصوى .

- أما العطلة فكانت محدودة من 20 إلى 30 يوما وإذا لم يلتحق بعدها الطالب مباشرة يطرد ويعوض بطالب أخر.

كما أهدى مجموعة من الكتب والمخطوطات العربية والتركية تحمل خاتمه إلى المكتبات والمدارس ومساجد قسنطينة من بينها مكتبة السيد حمودة ابن الفكون التي تحتوي على 2500 مجلد وكذلك مكتبة البشطارزي[1] التي كانت تضم 500 مجلد[2] .

كان صالح باي يهدف من خلال هذه المبادرات إلى نشر التعليم بين الناس وإعداد علماء أكفاء لتولي الأمور الثقافية والدينية والإدارية إضافة إلى سعيه للحفاظ على علوم الدين من الضياع وقد أظهر معاملة حسنة للعلماء والمرابطين فأجزل لهم العطايا وأسقط عنهم المطالب ومنحهم الاقطاعات كدليل على معاملته الحسنة لهم [3] .

---

[1]- عبد الرحمن بن أحمد بن ماس بن باش طرزي القسنطيني اديب ناظم صوفي نشأ بمدينة الجزائر ثم انتقل الى قسنطينة فاستوطنها ونشر فيها الطريقة الرحمانية له كتاب "عمدة المريد " في بيان الطريقة ,"منظومة الرحمانية "شرح به نظم مسائل التوحيد وهي 45 مسألة وله عدة قصائد وموشحات ، عادل نويهض ، مرجع سابق ، 30.

[2] – عبد القادر نور الدين , مرجع سابق، ص 214.

[3] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 294

إن ثبوت صالح باي في الحكم ولمدة طويلة كان نتيجة تعامله مع الأسر النافذة في بايلكه ، وبما أن صالح باي كان يتميز بقدرات إدارية عالية في التسيير وهو شيء نادرا ما نجده عند حكام الايالة [1] .

تميز صالح باي بالإدارة المحكمة للأمور الدينية فركز جهوده على تنظيم أوقافها وحمايتها حيث أمر بتسجيل الأملاك الوقفية في سجل وهو ما تبينه وثيقة أمضاها صالح باي عام 1185هـ جاء فيها " وكما وقع التقصير من وكلاء المساجد في قسنطينة ، ولم يكن لهم الاعتناء بشأنها وفرطوا في ذلك غاية التفريط " من خلال الوثيقة ندرك أنه قام بإصلاحات في الأوقاف فوضع أربع سجلات فيها كل الأوقاف واحد عند صاحب بيت المال والثاني عند شيخ البلد والثالث والرابع عند القاضيين الحنفي والمالكي ، كما وضع لها قانونا ليحاسب فيه الوكلاء كل ستة أشهر والفائض ينفقه العلماء المنعقد يهم المجلس العلمي وصاحب بيت المال [2] .

ولكن وبالرغم ما قدمه صالح باي للثقافة إلى أن تحوله في سياسته مع العلماء والمرابطين خاصة بعد تراجعه عن الإعفاءات التي استفادت منها الزوايا وهذا للحاجة المتزايدة للمال من أجل الانجازات العمرانية ببايلكه وهناك من يرى أن سبب هذا التغيير في علاقته مع العلماء يرجع إلى بنائه للمدرسة الكتانية التي نافست الزوايا منهجا وسمعة [3] .

المطلب الثالث : الباي محمد الكبير

كانت الحياة الثقافية تتسم بايلك الغرب قبل وصول الباي محمد الكبير بالجمود والتحجر وهذا راجع إلى اهتمام الناس بالتجارة خاصة , لأنها تضمن العيش الجيد وكان هذا هو حال كل أقطار الوطن خلا القرنين الأولين للوجود العثماني رغم أنه قبل مجيء العثمانيين كانت

[1] – نصر الدين سعيدوني ، النظام المالي.... ، ص 50 .

[2] – فاطمة الزهراء قشي ، قسنطينة المدينة والمجتمع ، دكتوراه دولة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة تونس الأولى 1998 ، ص 106-107 .

[3] – نفسه ، ص 108 .

معظم المدن الجزائرية خاصة تلمسان مسرحا للإشعاعات الثقافية وتزخر بمراكز تعليمية ودينية امتد إشعاعها إلى أرجاء القطر الجزائري وحتى خارجه [1] .

بعد دخول الأسبان كاد العلم أن يندثر فمثلا مدينة وهران طيلة مدة الاحتلال الاسباني عاشت عزلة وفراغ ثقافي لأن الأسبان عملوا على طمس معالمها العلمية والثقافية لكنها استعادت مكانتها الثقافية بعد عودتها لحظيرة الوطن وجعلها عاصمة البايلك [2] .

ويرجع هذا الى نقص التعليم ووسائل تشجيعه وتنشيطه سوءا ماديا أو معنويا وقد وجد في الباي محمد الكبير الذي كان بارعا في إدارة شؤون بايلكه وهذا بتحريره وهران سنة 1792م من الاحتلال الاسباني وازدهرت الحياة الفكرية في عهده لتقربه من العلماء وبناء المؤسسات التعليمية واختيار كبار العلماء للتدريس [3] .

ويبرز دور الباي محمد الكبير في تشجيع الثقافة وبعثها من جديد بإنشائه المدارس والمساجد خاصة ، فبني مدرسة بمعسكر وأخرى بوهران وثالثة بمازونة وأشهرها المدرسة المحمدية التي بناها في معسكر [4] وهي المدرسة التي قال عنها ابن سحنون "كاد العلم أن يتفجر من جوانبها "[5] وقد جهزها بكافة الوسائل الضرورية من مكتبة وقاعة للمطالعة وكل المرافق الضرورية كما عين لها أساتذة أكفاء , كالعلامة الطاهر بن حواء قاضي قضاة معسكر والعلامة السيد عبد الله بن حواء قاضي البلد وخطيب المسجد الكبير ، وهما من

[1] – صالح فركوس ، الباي محمد الكبير ودوره في بعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب ، الأصالة ، عدد71 ، 1982 ، ص 21 .

[2] – ابن سحنون ،مصدر سابق، ص 135.

[3] – الناصري ، مصدر سابق ، ص 150–151.

[4] – نصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث .. ، ص 248 .

[5] – ابن سحنون ، مصدر سابق ، ص 135.

أسرة تمتاز بالعلم والمعرفة وعين لها مديرا الشيخ محمد بن عبد الله الجيلالي رئيس رباط وهران[1] حيث قال ابن سحنون " ويرشدهم ويوجههم إلى مناصب مختلفة "[2] .

كما وضع لها نظام داخلي لتسييرها وألحقها بمسجد ورتب لها المدرسيين والنظار وزودها بمكتبة خاصة تحوي نفائس الكتب وهذا بأمواله الخاصة ، إن أعماله الحضارية لم تقتصر على مدينة معسكر بصفتها عاصمة البايلك بل مد مشاريعه إلى العاصمة الثانية وهران ، التي بنى بها مسجدا يعد من أكبر مساجد المدينة ، إضافة إلى ما استفادت منه مدينة تلمسان , وتلبية حاجات موظفي هذه المراكز حبس عليها الباي مخبزة وحدائق وبساتين ، هذه الأوقاف لم تستفد منها فقط هذه المؤسسات بل حتى العلماء حيث خصص لهم رواتب منها [3] .

لقد عمل الباي محمد الكبير على استمالة العلماء وتقربهم , حيث كانت جلساته لا تخلوا من العلماء والأدباء والشعراء ومجالسه تضم العديد منهم خاصة في المناسبات ، إضافة إلى الهدايا والمنح التي يقدمها لهم في المناسبات والأعياد [4] .

لقد اهتم الباي بتدوين الأحداث التاريخية خاصة تاريخ وهران وبايلك الغرب بتشجيعه للعلماء والكتاب و اجزاء العطايا لهم فكان يأمر بنسخ الكتب الثمينة والمخطوطان النادرة ، حيث كان يجمع في قصره الناسخين ذوي الخط الجيد فيختار الماهرين منهم لنسخ الكتب المهمة ولا يهمه الثمن المدفوع من أجل مخطوط ثمين ، فقد منح ابن سحنون مائة دينار

---

[1]- لم تكن تختلف عن الزوايا فهدفها تعليمي تربوي إلا أنها كانت مراكز دينية متقدمة جهادية لمقاومة العدو الأجنبي ازدادت أهميتها عندما تكالبت الأطماع المسيحية على شواطئ المغرب العربي ....المهدي البوعبدلي ، الرباط والفداء في وهران والقبائل، ص 29.

[2] – نفسه ، ص 137.

[3] – صالح فركوس ، الباي محمد الكبير....ص 22

[4] – نفسه ، ص 23.

ذهب بعد تلخيصه لكتاب الأغاني وخمسين دينار ذهب على جمعه لكتاب الطب القاموس إضافة إلى منحه هدايا أخرى [1] .

وبما أن فترته تميزت بتعبئة الناس ضد الأسبان هذا الأمر الذي ضاعف حماس الكتاب على تقييد المعارك والأحداث خاصة التي وقعت في عهده , لقد شجع الباي محمد الكبير الكتاب على التأليف في شتى المعارف حتى أنه كان يقترح المواضيع أحيانا فكلف كاتبه مصطفى بن عبد الله (ابن زرقة) بتدوين أحداث الجهاد عند فتح وهران الثاني فألف الرحلة القمرية في الأخبار المحمدية كما أنه أمر ابن رقية التلمساني[2] بتدوين أحداث حملة أوريلي على الجزائر 1189هـ/1775م فألف الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة [3] .

وتشجيعا منه للحركة العلمية قام بإرسال بعثات علمية للشرق وخاصة للأزهر وكان يمدهم سنويا بااعانات , تجاوزت علاقته الثقافية الحدود الجغرافية للبلاد حيث كان يرسل الهدايا للعلماء المشهورين مثل العلم المصري أبو الفيض مرتضى الزبيدي صاحب كتاب "تاج العروس في شرح القاموس " ، كما أكرم العالم المغربي الزياني 1833/1743م صاحب" الترجمانة الكبرى " عندما نزل بوهران [4] .

وكان الباي محمد الكبير يستشير العلماء في القضايا الهامة وينزل عند رغبتهم بحيث عفا عن المتعاونين مع الأسبان وهذا بإشارة من العلماء [5]وبهذا يكون تشجيعه للثقافة نابع من استنارته وتشبعه بالمعارف رغم أن هناك من يرى أن الهدف من وراء تشجيعه للثقافة هو

---

[1] – ابن سحنون ، مرجع سابق ، ص 145.

[2]- محمد بن محمد بن عبد الرحمن مؤرخ وفقيه من أهل تلمسان ,وبها نشأ وتعلم من أثاره " الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها الكفرة"وصف فيه حملة الإفرنج على الجزائر من زمن خير الدين إلى سنة 1189هـ ترجم إلى الفرنسية ونشر ....عادل نويهض ,مرجع سابق ، ص 40.

[3] – صالح فركوس ، الباي محمد الكبير...، ص 25 .

[4] – مولاي بالحميسي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، ش .و.ن.ت ، 1979م ، ص 21 .

[5] – ابن هطال التلمساني ، مرجع سابق ، ص 72–73

كسب العلماء إلى جانبه لتدعيم مركزه في الحكم فعرف كيف يجلبهم ويجعلهم يتهافتون عليه بالثناء وتخليد مناقبه لأنه ذو تفكير سياسي بعيد النظر خاصة عندما أحي الربطات[1] الطلابية التي كان يؤمر عليها العلماء مثل رباط وهران الذي أثر عليه الشيخ الجيلالي مدير المدرسة المحمدية هذا الرباط الذي ذكره ابن سحنون بقوله :

"مؤمرا شيخنا الجيلالي محمد الأحق الأجل وقد ساعده على إدارة كل من القاضي الطاهر بن حواء وكاتبه الخاص مصطفى بن زرفة فجمع المرابطون بين التعليم والجهاد" [2] .

حسب الأستاذ سعد الله فان الباي محمد الكبير لما عين الشيخ الجيلالي على رأس الرباط كان يهدف الى التخلص منه مثلما تخلص من ابن حواء باستشهاده وهذا لأن الشيخ الجيلالي عالم بارز وله مكانته في الوسط الاجتماعي [3] .

مهما تكن غاية الباي محمد الكبير من وراء أعماله إلا أنه ساهم بقسط كبير في إحياء العلوم وبعث الحركة الثقافية من جديد في بايلك الغرب كما أنه بفضل تشجيعاته للعلماء على التأليف أنشأ ما يسمى بالأدب المحلي .

[1] – صالح فركوس ، الباي محمد الكبير.... ، ص27.

[2] – المهدي البوعبدلي ، الرباط والفداء في وهران والقبائل ، الثقافة ، عدد3 ، 1973 ، ص 27 .

[3] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 234 .

أهم علماء الجزائر خلال عهد الدايات

أهم علماء الجزائر خلال عهد الدايات

04

أولا:أحمد بن عمار

ثانيا.الحسين الورثلاني

ثالثا:.أبي راس الناصري

رابعا:ابن العنابي

لقد أنجب القرن السابع عشر(17م) كوكب من العلماء الذين تركوا بصماتهم في شتى فروع العلوم وكان لهم دورا بارزاً في تنشيط الحياة الثقافية بالجزائر فخلفوا جملة من التآليف. تستفيد بها الأجيال اللاحقة الذين يتولون بعد هذه النخبة مهمة تنشيط الحياة الثقافية بالجزائر.

المبحث الاول : أحمد بن عمار

هو أبو عباس أحمد بن عمار الجزائري ، يرجح أن مولده كان سنة (1119هـ/1707م)[1] بمدينة الجزائر، وهو من الأسر العريقة التي توارثت منصب الإفتاء[2]، تلقى تربية دينية على يد والده الذي كان من أهل العلم ومعروفا في الأوساط العلمية، تربى بن عمار في كنف مدينة الجزائر في المرحلة الأولى من حياته[3]،إلى أن أصبح مدرسا بالجامع الكبير، تولى وظيفة الفتوى على المذهب المالكي من سنة 1180هـ/1766م إلى غاية سنة 1184هـ/1770م[4].

عاصر احمد بن عمار كوكبة من الأدباء والفقهاء الذين شهدوا له بالنبوغ والدراية في شتى العلوم كالفقه والتفسير ونظم الشعر، من أهمهم محمد بن ميمون ، عبد الرزاق بن حمادوش، الورثيلاني وأبو راس الناصري

كما اشتهر أحمد بن عمار بنظم القصائد والموشحات في مدح النبي عليه أفضل الصلاة والسلام التي كانت تقرأ بالأصوات المطربة في المحافل العظيمة والمجامع المحفوفة بالفضلاء احتفالا بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أثبت ابن عمار أن له ديواناً شعرياً

---

[1] – أحمد بن عمار ، مختارات مجهولة من الشعر العربي، تق و تع ، أبو القاسم سعد الله، ط01، دار العرب الإسلامي ، لبنان ، 1992 ، ص24.

[2] – ابن حمادوش عبد الرزاق الجزائري ، رحلة ابن حمادوش المسماة على: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال ، تحقيق أبو القاسم سعد الله : المؤسسة الوطنية للفتوة المطبعة بالجزائر ، 1983 ، المصدر السابق ، ص 260.

[3] – أبو القاسم سعد الله ، _تاريخ الجزائر الثقافي ، ج02 ، ص240.

[4] – الحنفاوي ، المصدر السابق_، ج01، ص339.

في التوشيح ، أورد فيه أيضا مقاطع نظمية للشيخ أبي العباس سيد أحمد المانجلاني، البوصيري[1].

ويعد ابن عمار من محبي التنقل و الترحال ، لقد قصد المشرق مرتين الأولى عام(1166هـ/1753م)،حيث مكث بجوار الحرمين حوالي اثني عشر سنة ، ثم عاد إلى الجزائر سنة (1178هـ/1763م) ، وأما رحلته الثانية فكانت بعد سنة (1195هـ/1781م) وهي السنة التي قصد فيها تونس بنية الاستيطان ، لكن لم يحالفه الحظ بها ، خصوصاً بعد الظروف السياسية التي مرة بها الايالة التونسية في تلك الفترة ، فتابع رحلته إلى المشرق وبقي بالحجاز حتى وفاته[2] .

توفي أحمد ابن عمار عام (1205هـ/1797م) مخلفا عددا من الكتب التي لم تكن تتماشى مع ما كان يفعله علماء وقته من عدم الخروج من الحواشي والشروح ، فقد ذكر ابو القاسم سعد الله بعض مؤلفاته من بينها[3]:

1-لواء النصر في فضلاء العصر (في التراجم).

2- نحلة اللبيب بأخبار الرحلة على الحبيب.

3- حاشية على الخفاجي في شرح الشفاء للقاضي عياض.

4- رسالة في تفسير قوله تعالى: « إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك».

5- تاريخ الباي علي باشا بن حسن (تونس) .

6- رسالة في الطريقة الخلواتية نسبها له الكتاني.

7- رسالة في مسألة الوقف.

8-رسائل وإجازات وتقاريظ وقطع في الوصف والنحو.

9- ديوان الشعر في المدائح النبوية.

---

[1] – الحفناوي ، مصدر السابق، ج01 ، ص342.

[2] – نفسه ، ص342.

[3] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج02 ، ص329.

10- ثبته المسمى (مقاليد الأسانيد).

11- شرح على البخاري.

وأهم ما ألف ابن عمار الرحلة الضخمة التي أطلق عليها عنونا مشوقاً يدل على أهمية محتواها وهي: "نحلة اللبيب لأخبار الرحلة إلى الحبيب"[1] .

أن الموجود من الرحلة حتى الآن هو نبذة من المقدمة فقط، ومع ذلك فقد بلغت صفحاتها عند طبعها 254صفحة، وقد بدأ ابن عمار بذكر دواعي تأليف الرحلة وتسميتها وبيان ضرورة الحج شرعاً مع الاستشهاد بالقرآن الكريم والأحاديث والأشعار، والتعبير عن شوقه إلى ساكن الحجاز و تلازمه الروحي، وذكر عادة أهل مدينة الجزائر المولد النبوي وموقف الفقهاء من ذلك واحتفال ملوك بني زيان في تلمسان وملوك بني الأحمر بالأندلس بالمولد أيضا، وجاء بإشعار من مختلف شعراء المشرق والمغرب.

كان ابن عمار معجبا بابن الخطيب والفتح ابن خاقان، وقد قيل إن طريقة تراجمه في(لواء النصر) تشبه طريقة ابن خاقان في(قلائد العقبان)، (مطمح الأنفس)[2]، وكان ابن عمار يهتم بالجملة ومقاطعها واللجوء لأسلوب السجع في اغلب الأحيان وتنميق العبارة، ولكن لقوة بيانه لا يظهر أنه كان يتكلف ذلك، فقد شاعت طريقته بين معاصريه حتى وصفه أبو راس الناصري بأنه:" سلس اللسان والعبارة، مليح التصريح والإشارة"[3].

وكان ابن العمار يكتب للخاصة لا للعامة، بل لخاصة الخاصة، فأسلوبه راقٍ ومعانيه بعيدة، فكان ابن العمار يطمح إلى أن يكون كابن الخطيب في النثر والشعر كما طمح احمد المقري قبله، لكن ظهور ابن عمار في القرن الثاني عشر وفي مدينة الجزائر التي لا

[1] – أبو راس الناصري ، فتح الإله ، ص92.

[2] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج02 ، ص233.

[3] – أبو راس الناصري ، مصدر سابق ، ص63.

يستعمل ولاتها اللغة العربية أصلا، فما بالك بفهم أساليبها وبيانها هو أمر في حد ذاته يثير الغرابة والإعجاب معاً[1].

المبحث الثاني : الحسين الورثلاني

ولد الحسين بن محمد السعيد في بني ورثلان، ومن ثم نسبته الورثلاني، سنة 1125هـ، ويذهب الورثلاني إلى انه من أسرة عربية شريفة. وكان جده قد جاء من ميلة وصاهر أسرة محمد أمقران، وأصبح شيخ علم معترفا له وأسس نفوذ الأسرة الروحي في المنطقة حتى انه بعد أن توفي أقيمت له قبة باعتباره من كبار المرابطين، وهكذا اجتمع في أصول الورثلاني الدين والدنيا : الدين عن طريق جده و والده والذين كانا أيضا من المرابطين، والدنيا عن طريق أخواله أولاد أمقران الذين كانوا حكاما ورجال سيف، وقد تزوج الورثلاني نفسه من إحدى بنات هذه الأسرة الكبيرة، وهي أسرة المسعود بن عبد الرحمان من بين عيدل ، كما كانت أسرته على صلة بعائلات قسنطينة.

ومع ذلك قام الورثلاني نشأ نشأة فقيرة أساسها التقشف الصوفي، وفي المدرسة القرآنية ، التي كان يديرها والده ، حفظ الورثلاني القرآن الكريم وهو في سن مبكرة، وبعد أن شب ذهب يبحث عن العلم في مختلف الزوايا فتعلم الفقه والنحو ثم أضاف إلى ذلك علمي التصوف والتوحيد، ولاشك أنه نال حظا من اللغة والأدب والعروض والتاريخ، وهكذا أصبح الورثلاني كجده ووالده من علماء المنطقة البارزين ومن الذين يدين لهم الناس بالطاعة والروحية والاحترام، وقد أصبح بعد ذلك من المدرسين وشيخ زاوية الأسرة، وكان يذهب للتدريس في بجاية وغيرها ، وتخرج على يده عدد كبير من التلاميذ الذين تولوا بدورهم وظائف دينية سامية، وغلبت على الورثلاني الروح الصوفية أكثر من الروح الفقهية، ومع ذلك فقد كان يجمع بين علوم الظاهر والباطن وكان يسير في مذهبه الصوفي على مبادئ الطريقة

[1] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج02 ، ص 234.

الشاذلية ، وكان لا يهتم باللباس ولكنه كان يبدي اهتماما بأحوال الدنيا ، كما كان يكره أهل الحضر والحكام العثمانيين ، وأصبح كمرابط يدخل بين الناس[1] .

كما اخذ على مشايخ آخرين بوطنه بلاد زواوة[2] ، ومما ساهم في توزيع مدارك الورثلاني أخذه على عدد كبير من علماء المشرق وتونس أثناء تردده على الحرمين الشريفين[3]، لا سيما خلال رحلته التي دامت حوالي ثلاثة سنوات بين سنتي (1179هـ/1765م) و(1181هـ/1767م) ، والتي كان فيها قد بلغ مبلغ كبار العلماء ، واشتهر بالتدريس بزاوية الأسرة بزواوة وفي تلك الفترة تلقى إجازات علمية وصوفية من ثمانية من علماء مصر وبعضهم أجازوه أكثر من مرة [4].

ومن مشايخ مصر الذي اعتبرهم الشيخ الورثلاني عمدته : الشيخ عبد الوهاب العفيفي والشيخ محمد الحفناوي ، وكلاهما أجازوه إجازة مطلقة في سائر العلوم العقلية و النقلية ، كان أول متصدر لتربية الموردين فجدد عليه الورثلاني في الطريقة الشاذلية، كما كان الشيخ محمد بن سالم الحفناوي جامعا بين الحقيقة والشريعة، فحضر الورثلاني مجلس إقرائه ، وتلقن منه الذكر عن طريقة أشياخه [5] .

تعَدُّ لقاءات الحسين الورثيلاني مع علماء الجزائر ذات قيمة علمية هامة بما تضمنته من أخبار ومعطيات عن المواقع الجغرافية للأضرحة والزوايا، مع رصد دقيق لأهم أعلامها، سواء المعاصرين له أو السابقين ، وقد أوضح غايته من زيارته ولقاءاته التي، تتمثل في الرغبة في التعريف بهؤلاء الأعلام، خصوصا وأنه عاب على أهل زمانه قلة الكتابة في هذا المجال قائلا : " الزيارات فإني قد جبلت على حبها من صغري ، وقد كثرت مني غربا وشرقا

---

[1] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج02، ص 394.

[2] – الحسين الورثلاني ، رحلة الورثلاني ، تع: ابن مهنا، الجزائر : المعرفة الدولية لنشر والتوزيع ،2011 ، ص81.

[3] – عبد المنعم القاسمي ، المرجع السابق ، ص143.

[4] – الحسين الورثلاني ، رحلة الورثلاني، ص338.

[5] – نفسه، ص348.

وجوًفا وقبلة بمعنى وجودها مني للأحياء والأموات، فمهما ذكر لي ولي صالح أو عالم حيا أو ميتا، إلا ذهبت إليه واقتبست من نوره، لاسيما عمالة الجزائر، فإني قد خضتها وبحثت عن أهلها بحثا شديدًا، تاريخا وسيرة وطريقة وحالا وكرامة، لما رأينا من وقوع الإهمال في ذلك في وطننا، فرسمنا كل ذلك رسما، جيدا، فحفظت من كل خلف وصف أسلافه، ونقلت من كل فرع أخبار أصله" وعليه يمكن القول أن لقاءاته أسفرت عن ذكر ما يزيد عن مئة وتسعين عالما، ولم يكتف فيها بتعريف الأعلام المعاصرين الذين شاهدهم وسمع عنهم ، بل عرف بعدد كبير من القدامى ، كما أبرز سردا لبعض الأنساب[1].

ومن تلامذة الشيخ الحسين الورثلاني في رحلته : السيد محمد بن الفقيه ووصفه بأنه"محقق في الكلام"، وقد اخذ عنه صغرى السنوسي ، والسيد محمد السكلاوي الجزائري الذي قرأ عليه كبرى الشيخ السنوسي[2].

توفي الورثلاني عام 1193هـ/1779م[3]، مخلفا عددا من المؤلفات أشهرها رحلته الحجازية المسماة " **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**" ، والتي أشار فيها إلى عدد من مؤلفاته بعضها في التوحيد من ذلك: "شرحه على الخطة مسمى" بمقدمته **شرح السنوسي** على صغراه وحاشية على شرح السكتاني المراكشي على صغرى السنوسي[4]، ورسالة تناول فيها قول بعض الأولياء وقفت بساحل وقفت الأنبياء دونه، كما شرح وظيفة الشيخ القطب سيدي يحي العبدلي المشهورة في وطنه، والصلاة المنسوبة إلى السمان القرشي المدني بطلب من صاحبها الذي لقيه بالمدينة المنورة في حجه سنة 1179هـ/1765م[5].

[1] – الحسين الورثلاني ، رحلة الورثلاني ، ص289.

[2] – نفسه ، ص89.

[3] – سعيدوني ، من التراث التاريخي والجغرافي ، ص418.

[4] – الورثلاني ، رحلة الورثلاني ، ص338.

[5] – نفسه، ص26.

ومن مؤلفاته أيضا: " شرح على محصل المقاصد لابن زكري " قصيدة ميمية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم على وزن البردة[1].

"الكواكب العرفانية و الشوارق الإنسية في شرح ألفاظ القدسية".

"شرح على القدسية لعبد الرحمان الاخضري ، وشرح وسطى الإمام السنوسي"[2].

المبحث الثالث : أبو راس الناصري

ولد محمد بن احمد بن عبد القادر سنة 1165هـ/1751م وهو من كبار العلماء في عصره، درس على يد عدد من المشايخ بمعسكر ومازونة وفي مقدمتهم الشيخ عبد القادر المشرفي[3].

ثم نشأ وعاش فقيرا يتيما توفيت أمه ثم أبوه فكفله أخوه الأكبر الذي سافر به إلى معسكر وهناك حفظ أبو راس الناصري القرآن الكريم وتعلم الأحكام ثم الفقه.

وليا أبو راس الناصري المناصب الدينية العليا: الفتوة، القضاء ، الخطابة وتصدى للتدريس فا ازدحم الطلبة على حلقته ولذلك صنع له الباي كرسيا إلا أن وظائفه لم تشغله على التأليف[4].

لم يكتف أبي راس الناصري بالتنقل بين مدن الغرب الجزائري فحسب، بل تنقل الى مدينة الجزائر حاليا في قسنطينة.

كان لأبي راس الناصري في مدينة قسنطينة دور هام في التواصل مع علمائها ، فعرض كل نشاطه العلمي بها[1] وحتى يؤكد إسهامه العلمي بادر بالتعريف بأشهر فقهائها وعلمائها

---

[1] – عادل نويهض ، مرجع سابق، ص349.

[2] – عبد المنعم القاسمي ، أعلام التصوف في الجزائر ، ص114.

[3] – محمد أبو راس الجزائري ، فتح الإله ...، ص184.

[4] –نفسه ، ص24.

وبعدها انتقل إلى التعريف بأهم الشخصيات المعاصرة فاختار أبو راس أن يفتح حديثه عن علماء قسنطينة بالتعرض إلى الترجمة لأهم عائلة علمية بها ، وهي عائلة الفكون قام بالتعريف خصوصا على شخصية محمد بن عبد الكريم و استدل بشهادة العلماء له بالعلم والفقه، وكان أبو راس الناصري مطلعا على المكتبات التي كانت بين عبد الكريم الفكون واحمد المقري وكان معجبا بأسلوبها وبلاغتها، ولم يكتفي أبو راس الناصري بترجمته لعبد الكريم الفكون بل ذكر أشهر أسلافه كالشيخ أبي علي حسن بن فكون، إن استعراض أبي راس الناصري لأشهر علماء المدينة في القرون الماضية وإبرازه لأهمية العلوم ومكانة العلماء في قسنطينة[2].

لم يقدم أبو راس الناصري في رحلته أشهر علماء عصره فقط بل قام بحصر كل أساتذته في جميع أطواره العلمية ، ولم يبخل بذكر بعض تلامذته وهذا ما ميزه عن بقية الرحالة، حيث وفرت مادته العلمية الحافلة بأخبار المدارس وأهل العلم وبأنواع العلوم التي كانت تدرس في الزوايا والساجد والمعاهد في الجزائر[3].

ومن أهم مشايخ المنطقة المختصين في دراسة الفقه وأصوله وتحفيظ الحديث فمن أشهر هذه الشخصيات والتي درس عليها أبو راس الفقه هم: الشيخ بن ابن مولاي علي بن سحنون الذي كان قاضيا والشيخان علي الشتين والموفق بن عبد الرحمان الجيلالي.[4]

ومن أهم مدرسة استكمل فيها أبو راس الناصري دراسته هي معهد القيطنة، على يد مدرسها الشيخ المشرفي وهو من أسرة عريقة معروفة بالعلم كان من المتطلبين في علم الأصول والفروع وكان من بين أوائل أساتذة معهد القيطنة، كما عمل على تأسيس زاوية خاصة بمسقط رأسه وقد بلغت هذه الزاوية شهرة علمية لا تقل عن ابقي المؤسسات التعليمية

---

[1] – محمد أبو راس الجزائري ، فتح الإله ، ص24.

[2] أبو راس الناصري ، مصدر سابق، ص99 – 98.

[3] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج01_، ص229.

[4] – سعيدوني ، من التراث التاريخي والجغرافي_، 412.

في المنطقة، ومن ابرز تلامذة المشرفي أبو راس الناصري الذي لازمه مدة طويلة وعرف به، وعند وفاته رثاه بقصيدة مشهورة[1].

حضت منطقة مازونة بأهم مركز علمي وهو مدرسة مازونة وتعتبر هذه المدرسة من أقدم المدارس التي أسست في العهد العثماني، من طرف مؤسسها الشيخ محمد بن الشارف المازوني سنة 1029هـ/1619مونالت هذه المدرسة شهرة كبيرة.

حيث ازدهرت بها حلقات الدروس وتنوعت المواد المدروسة فيها، تفسير القرآن وشرح الألفية وشرح العقيقة وأصول الفقه المالكي[2].

وهذا ما جعل أبي راس الناصري يشد الرحال إليها متشوقا إلى حضور دروسها، وفيها تتلمذ على يد نخبة من أهم شيوخها منهم الشيخ محمد بن القندورة ،افراني نجار[3] والشيخ محمد بن الفاغول كان من مدرسي المختصر واستحسن قوة حفظ أبي راس الذي كان من أنجب طلبته[54] وكذلك الشيخ محمد بن عوالي المعروف بالزلماطي والذي كان يقوم يدرس أيام الخميس والجمعة وعرف مجلسه إقبالا كبيرا.

زار أبي راس الناصري وهران، والتقى بصاحب الفضل في فتحها محمد بن عثمان باي بايلك الغرب، حضي هذا الباي مكانة هامة في تاريخ المنطقة وتميز عن بقية البايات بأعماله العسكرية والإدارية والاجتماعية وخاصة اهتمامه بالحركة الفكرية، وبذلك اكتسب حب العامة، وحضي الباي محمد بن عثمان بنصيب الأسد في مؤلفات الكتاب الذين تنافسوا في نظم الأشعار وتأليف الكتب عنه[6].

---

[1] – أبو راس الناصري ، مصدر السابق، ص55.

[2] – المهدي البو عبد اللي ، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984،ج04،ص202.

[3] –أبو راس الناصري ، المصدر السابق_، ص43.

[4] – نفسه ، ص21.

[5] – نفسه_، ص46.

[6] – احمد بن سحنون الراشدي ، مصدر سابق_ ، 1973، ص126.

كان أبو راس الناصري من الذين كتبوا عنه[1] ، وفي رحلته أورد لقائه به في مجلسه فقال : " الرفيع الشأن السيد محمد باي ابن عثمان، اخلص الله جهاده، وسير في قهر أعداء الدين مراده بأبسط العدل والإيمان، قابض اكف العدوان الجميل النوال المتكفلة بحفظ النفوس والأموال ، هزم الأحزاب العائدين وجيوشهم"[2].

ومن العلماء الذين لقيهم أبو راس الناصري في مجلس الباي الشيخ محمد بن حسن احد أعلام وهران عالم مشهور بالأدب والمهارة في النحو واللغة وسائر العلوم، تحاور مع أبي راس الناصري وكان سببا في تأليف كتابه الذي سماه "بقية الرتاد في كل شيء وجنت بلا زاد " [3].

وقد سافر أبي راس الناصري إلى المشرق تونس مصر الحجاز الشام وفلسطين وعرف أبي راس الناصري في هذه البلدان بعلمه الواسع وكثرة حفظه حتى لقب في مصر بشيخ الإسلام وصار عند المصريين شهيرا بعد امتحانهم له[4].

بعد ذلك رجع أبي راس الناصري إلى الجزائر حيث تقلد منصب الفتوة والقضاء والخطابة في جامع بلدة معسكر ولكنه عزل عن الوظيفة، ثم اتصل بعد ذلك بسلطان المغرب وتنقل إلى فاس واشتهر بها ومكث فيها مدة ثم عاد إلى الحجاز لأداء فريضة الحج مرة أخرى سنة 1226هـ/1813م ، وبعد عودته إلى الجزائر اعتنى أبو راس الناصري ومنه ألف رحلته فتح الإله ومنته في التحد بفضل ربي ونعمته، حتى توفي عام 1238هـ/1824م.

إن رحلة أبي راس الناصري تختلف كثيرا عن باقي الرحلات الأخرى المتنوعة رغم تناولها موضع الرحلة إلى الحجاز لغرض أداء فريضة الحج فهي تظهر عملية أكثر منها

---

[1] – احمد بن سحنون الراشدي ، مصدر سابق، ص133.

[2] – أبو راس الناصري ، مصدر سابق، ص44.

[3] – نفسه, ص ص100 – 101.

[4] –نفسه, ص117.

دينية فكان المؤلف يهتم بالعلم والعلماء[1]، حيث كان طلب العلم وملاقاة الشيوخ أول ميهنم به أبو راس الناصري كلما دخل مدينة قام بذكر علمائها ووصف العلم وملاقاة الشيوخ ووصف العلوم والمسائل التي سمعها منهم[2].

عرف أبو راس الناصري بكثرة تآليفه التي شملت علوما مختلفة التفسير، القراءات ، الحديث ، الفقه، النحو، العقائد، الأصول والتاريخ.

من أهم ما يميز العلامة أبو راس الناصري كثرة مؤلفاته التي فاقت المائة واثنين تأليف ، وهذا بالإضافة إلى كثرة انشغاله بالتدريس وكثرة أسفاره وتنقلاته ومشاركته إلى جانب الباي محمد بن عثمان باي وهران في حربه ضد الأسبان، وقد ذكر في كتابه"شمس معارف التأليف في أسماء ما انعم الله به من التأليف ، من أهم مؤلفاته[3] :

-تفسيره للقرآن الكريم.

-الحاوي لنبذ من التصوف والأولياء والفتاوى.

- عجائب الأسفار.

- الحلل السنوسية.

- درء الشقاوة في حروب درقاوة.

- فتح الإله منته .

- الدرة الأنيقة.

- الإصابة فيمن غزى المغرب من الصحابة.

---

[1] - أبو راس الناصري ، مصدر سابق، ص ص117 118.

[2] - نفسه ، ص120.

[3] - صلاح مؤيد العقبي ، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، دار البصائر، 2009، ص ص440 441.

المبحث الرابع : محمد بن محمود(ابن العنابي)

هو محمد بن محمود بن حسين بن محمد بن عيسى الازميتلي الجزائري الحنفي الشهير بابن العنابي ، ولد بمدينة الجزائر سنة 1189هـ/1775م[1] ، ونشأ ودرس وتثقف بها بثقافة عصره، وتتلمذ على يد علمائها ومنهم والده وجده، قرأ على والده محمود بن محمد القرآن الكريم ، ومختلف العلوم المتداولة في ذلك العصر وأجازوه في كثير من كتب الحديث[2].

كان ابن العنابي من كبار العلماء في وقته، وإنجازاته الفكرية والسياسية في الجزائر والإسكندرية تتفق مع الأوصاف التي أطلقها عليه بعض معاصريه ومنهم عبد الحميد بيك الذي وصفه بأنه كان:" إماما فاضلاً، عارف بالعبادات والأحكام في المذاهب الأربعة على اختلافها، وعالما في باقي النقول والمعقول، والسياسات العمومية و الخصوصية الداخلية والخارجية[3] ، ورغم أن ابن العنابي من المجددين ، إلا انه لم ينسلخ في طريقة تفكيره عن روح عصره إذ هو من العلماء المتمسكين بالطرق الصوفية ، وهي سمة العصر فهم شاذلي الطريقة[4] .

تمتع محمد بن محمود العنابي بمكانة مرموقة لدى العامة و الخاصة ، وتولى مناصب رفيعة، إلى جانب تكلفه بمهام سياسية مختلفة، أما بالنسبة للوظائف الرسمية فقد افتتحها بالقضاء، بحث تولى قضاء الحنفية بالجزائر سنة 1208هـ/1793م وهو في سن الثامنة عشر فأقام فيه سنتين وعزل نفسه ويذكر عبد الحميد بيك إن ابن العنابي تولى الإفتاء في

---

[1] – أبو القاسم سعد الله ، المفتي الجزائري ابن العنابي: رائد تجديد الإسلامي(1775م/1830)_، الجزائر ، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ، 1977، ص118.

[2] – نفسه_، ص115.

[3] – عبد الحميد بيك ، أعيان من المشارقة والمغاربة ، تح و تع: أبو القاسم سعد الله ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط01 ، 200 ، ص190.

[4] – أبو القاسم سعد الله ، المفتي الجزائري ابن العنابي_، ص38.

مدينة الجزائر سنة 1213هـ/1798م واستمر في هذه والوظيفة إلى سنة 1236هـ/1820م[1]، وقد انسب إليه الزهار في مذكراته مهمتين كبيرتين الأولى وظيفة القضاء والثانية الكتابة إلى باي تونس، ثم إن الأمير أمر الفقيه محمد ابن العنابي قاضي الحنفية أن يكتب كتابا إلى حمودة باشة فكتب كتابا وعده به[2] ، مما يدل على المكانة التي تمتع بها ابن العنابي لدى رجال الدولة.

وإلى جانب الإفتاء الحنفي كان ابن العنابي يتولى الخطابة ، بحيث جرت العادة أنه كل من يتولى خطبة الفتوى بكون خطيبا بالجامع الجديد[3] ، وانتصب للتدريس في الجزائر شأنه شان كبار العلماء .

رحل ابن العنابي حاجا سنة 1200هـ/1820م وبقية ابن العنابي بالإسكندرية وخلال إقامته بمصر التي دامت تسع سنين ، تردد إلى الحرمين الشريفين فحج ثلاثة مرات تصدر للتدريس الحديث والفقه في الأزهر التف حوله تلاميذ وعلماء وفي سنة 1245هـ/1829م أرسل إليه الداي حسين يطلبه إلى الجزائر، ولما قدم إلى الجزائر عزل الداي حسين المفتي القائم و ولاه مفتيا للحنفية ، وبقي تلك السنة مفتيا إلى أن وقعت الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي 1246هـ/1830م ، وكان لابن العنابي دور في التصدي للاحتلال الفرنسي، لكن خلال الأشهر الأولى للاحتلال انتقل ابن العنابي إلى الإسكندرية[4]، فا ولاه محمد علي باشة إفتاء الحنفية واشتهر مدة إقامته بمصر بالفتوى[5]، ووردت عليه الفتاوى من مصر ومن خارجها و استمر في منصبه إلى سنة 1265هـ/1849م ، ولما ولي عباس باشا 1065هـ

---

[1] – عبد الحميد بيك ، المصدر السابق ، ص187.

[2] – احمد الزهار ، مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار(1830–1954م)، تح: احمد توفيق المدني، الجزائر ، ش.و.ن.ت ، ط02، 1980، ص61.

[3] – ابن المفتي ، تقييدات ابن المفتي، ص88.

[4] –عبد الحميد بيك ، مصدر سابق، ص ص188 189.

[5] – ابو القاسم سعد الله ، رسائل في التراث والثقافة(مراسلات الشيخ المهدي بو عبد اللي 1902– 1992 .الجزائر: منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ، ط 02، 2010 ، ص61.

سعى إليه المفتين والمشايخ في إطار،حيث عزله عباس باشا والي مصر أما سبب فيعود إلى كتابه" صيانة الرياسة في القضاء والسياسة" الذي ألفه بطلب من محمد علي باشا الذي أراد القضاء على الفوضى الناجمة على اختلاف الفتاوى بين المذاهب، بحيث صار أصحاب الدعاوى يستفتون المفتيين، وإذا ظهر الحق بيد من تكون معه الفتوى يستفتي المدعى عليه بفتوى أخرى على اختلاف أقوال المذاهب ، وتعاد رؤية الدعوة مرة أخرى ، وكثر ارتشاء المفتين ، فأراد محمد على أن ينهي هذه الفوضى بكتاب يجمع فيه ما رجح من أقوال المذاهب الأربعة ويوفق مع الأقوال قوانين السياسة ، وتصير كل الأحكام عليه ، ويبطل الاستفتاء من بقية المذاهب[1].

ولما ولي عباس باشا 1265هـ ، سعى إليه المفتيين والمشايخ في أبطال هذا الكتاب ، وأقنعوه بعدم جواز هذا الفعل ، وصل بهم الأمر إلى وصف ابن العنابي بأنه "رجل خارجي زنديق" ، أما السبب الحقيقي لهذه الهجمة على المفتي ابن العنابي فهو انقطاع ما كانوا يسترزقون منه من تحرير الفتاوى على اختلاف المذاهب[2].

أما صلة ابن العنابي بتونس فهي قوية، تعززت من خلال نزوله بها أثناء تردده على المشرق، وتكشف الوثائق انه كان بها في آواخر 1244هـ/1828م وظل بها فترة من الزمن ، ثم غادرها عائدا إلى الجزائر سنة 1245هـ/1829م ، وقد أقام بها ، وقد أقام بها معززا مكرما محاطا بعلمائها الذين أشادوا و استجازوه ، ونوهوا بعلمه ومدحوه بالنثر والشعر ويبدوا أنه كان معروفا لديهم من قبل كما أكرمه باي تونس عند إذن وأحاطه بالتبجيل والتعظيم وقد أضافت هذه الوثائق انه كان جديرا بذلك الاعتبار ، لعلمه الكبير[3].

ترك ابن العنابي عددا من المؤلفات في فنون شتى ، تدل على موسوعيته العلمية ، ومن أهم وأشهر مؤلفاته كتابه "السعي المحمود في نظام الجنود" ، وكتاب "شرح الدر

[1] –عبد الحميد بيك ، المصدر السابق ، ص189.

[2] – نفسه، ص190.

[3] – أبو القاسم سعد الله ، المفتي الجزائري ، ص29.

المختار" في الفقه الحنفي، وصل فيه إلى ثلثيه ولم يتممه[1]، وكتاب "العزيز في علم التجويد"، ومن تآليفه شرح على فرائض المجمع، ومنها رسالة في أداء زكاة الفطر على المذاهب الأربعة[2]، والثبت المعروف بـ"ثبت الجزائري " [3].

كان ابن العنابي مكثرا في الفتاوى ، حتى اشتهر بذلك ، والظاهرة العامة في تأليف ابن العنابي هي أنها تآليف صغيرة الحجم، أنها تتناول مسائل دينية في شكل رأي معلل ومدعم بالشواهد والأمثال ، أو في شكل شرح لكتاب قائم من قبل[4] ، كما كان ينظم الشعر، فترك بعض الأشعار التي أورد بعضها في تقارظه[5].

كان ابن العنابي من أوائل المجددين ودعاة الإصلاح الاجتماعي والسياسي في العالم الإسلامي[6] ، ولم يبالغ أبو القاسم سعد الله حينما اعتبره رائد التجديد الإسلامي ، عاصر أحداثا كانت فيها الدولة العثمانية تعاني من اضطرابات على المستوى الداخلي، وتواجه الخطر الخارجي من ناحية أخرى ، فرأى أن الحل يكمن في تجديد هذه الدولة وعودتها إليها كانت عليه من القوة والرهبة ، ووقف إلى جانب التيار التجديدي في مختلف الميادين وليس الميدان العسكري وحده[7].

وقد تجسدت أفكاره التجديدية في أهم وأشهر مؤلفاته المعنونة بـ "السعي المحمود في نظام الجنود" ، الذي ألفه أثناء إقامته بالقاهرة في سنة 1242هـ/1826م[8] ألفه لحث المسلمين على تريب وتنظيم وتحديث الجيش المسلم، ومما جاء فيه: "إن الأوربيين نظم

---

[1] – أبو القاسم سعد الله ، المفتي الجزائري ، ص 43.

[2] – نفسه، ص 40.

[3] – عادل نويهض ، مرجع سابق، ص 245.

[4] – أبو القاسم سعد الله ، المفتي الجزائري،ص 39.

[5] – نفسه، ص41.

[6] – عادل نويهض ، مرجع سابق ، ص 245.

[7] – أبو القاسم سع الله ، المفتي الجزائر ي، ص86.

[8] – نفسه، ص65.

جهودهم ليضروا بالإسلام وأهله، وإماما هذا الخطر الداهم، أصبح من المحتم على المسلمين أن يتعلموا منهم ما اخترعوه من صنائع ونظم"، ويعقد مقارنة بين الأوربيين والمسلمين: "وإنهم إذا أعدوا لنا صواعق البارود ، فاعددنا لهم فإعدادنا لهم القسى والمنجنيق ... أو اقتصرنا على السيوف والبندقيات ، وشمروا لنا الثياب فاعددنا للقائهم الثياب الجررة والأكمام المطولة، والعمائم المكبرة..." ، وطريقته تقوم على طرح فكرة ثم يحشد لها من الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية ما تصير معه مقنعة في نظره للمتزمتين والمترددين من قضية التجديد وتقليد الأجانب والتعلم منهم[1].

ويبدوا انه كان يتمتع بجرأة كبيرة ، وكتابه من أوائل الكتب التي طرحت مفهوم التجديد على مستوى الدولة الإسلامية، و نادى بعدم الانغلاق أمام الحضارات المعاصرة ، ودعا إلى تحديث الجيش، وإتباع العدل والشورى ، وتوفير المال ، والتمسك بالأخلاق الكريمة ، باعتبار كل ذلك أساسا القوة وكرامة الأمة الإسلامية [2].

اثبت العلماء الجزائريون ، لا سيما ابن عمار الورثلاني ، أبو راس الناصري ، وابن العنابي براعة كبيرة في طرح معارفهم العلمية بأسلوب أدبي شيق ، وتنوعت اهتماماتهم بين وصف العلماء ومميزاتهم ومعتقداتهم الدينية ، دون أن يغفلوا جوانب حركة النشاط الثقافي .

[1] – أبو القاسم سعد الله ، المفتي الجزائري ، ص 64.

[2] – نفسه ، ص89.

الخاتمة

سعت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على الحياة الثقافية في الجزائر خلال عهد الدايات (1082-1246هـ/1671-1830م) وقد استخلصنا من بحثنا هذا جملة من الاستنتاجات الهامة التي يمكن حصرها فيما يلي:

- إن استقرار الوضع السياسي بالجزائر قد جعلت جهود حكام الجزائر تنصب على الجانب العسكري، مما يفسر بذلك عدم اهتمامهم بالجوانب الحضارية.

- لم يلق الجانب العلمي والثقافي الاهتمام من طرف الأتراك العثمانيين حيث ظل التعليم ذاتيا تحت إشراف الجمعيات الخيرية عليه، وهذا ما يبن سلبية العثمانيين اتجاه وضعية التعليم.

- تبين انه خلال هذه الفترة إشباعا ثقافيا كبيرا مصدره ديني والذي كان تحت إشراف الزوايا والمساجد والمدارس والكتاتيب ومؤسسيها من كبار العلماء الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية نشر الروح الدينية وإنارة الفكر وتحريكه من الجمود.

- وقد لوحظ أن الثقافة في الجزائر كانت ثقافة دينية، فقد ركزت في الأساس على تدريس العلوم الإسلامية لتعدد فروعها: علوم القرآن، تفسير، الحديث، وهذا ما يبين لنا مدى تمسك المجتمع الجزائري الشديد بالدين ما جعلهم يقومون بإحيائه والنهوض به.

- وبالرغم من عدم توفر الأسباب المشجعة في الجزائر فان جذوة الثقافة بقيت موقدة بفضل بعض العلماء الذين فضلوا المكوث في الجزائر لمواصلة نشاطهم العلمي ومواجهة كل الصعاب التي كانت تعترض سبلهم.

- ورغم افتقار الجزائر إلى المعاهد العليا في الحجم مثل الزيتونة والقيروين والأزهر ألا أن الدروس التي تلقى في بعض جوامعها كانت تضاهي دروس جامع الأموين بدمشق والحرمين الشريفين.

- ويلاحظ من خلال هذه الانجازات التي قام بها بعض الدايات كانت معتبرة ولها الأثر الثقافي وساهمت في تطوير طرق ومناهج وقوانين التعليم، ألا أنها كانت قليلة ولصالح هؤلاء الحكام التي قد تكون لكسب رضي الشعب الجزائري، والتي لم تستمر طويلا ويتبين أيضا الانحطاط والتدهور الثقافي أثناء هذه الفترة اقتسمه السكان والحكام، الذين اهتموا بالمحافظة على مناصبهم وجمع الثروات وكان ذلك على حساب الأهالي مما شكل صراع وغضب بين الطرفين وكما سبق الذكر كانت نفقات التعليم على عاتق الأوقاف، هذا ما يمكننا من معرفة إن التعليم عرف انتشارا حلال هذه الفترة ولم يتعرض لأي نوع من تدخل الحكام.

- ومنه لا يمكننا تحميل العثمانيين مسؤولية تدهور الوضع الثقافي في الجزائر لكن سياستهم ساعدت على الانحطاط فهم لم يكونوا حاملي مشروع ثقافي فلم يكونوا حاملي مشروع ثقافي ولم يشكلوا في نفس الوقت عائق في وجه استمرار الحياة الثقافية، بل كان الحكام يحترمون العلماء ويوقفون الأوقاف لصالح التعلم ومؤسساته.

وان العناية التي أولها بعض الحكام للتعليم والثقافة عامة، رغم أهميتها فإنها جاءت في وقت متأخر ولم تكن اضطرابات والفتن التي عرفتها البلاد آنذاك تسمح بالقيام بنهضة علمية شاملة .

الملاحق

مقدمة

الملحق رقم (1)

علي عبد القادر حليمي ,**مدينة الجزائر ونشأتها وتطورها قبل 1830 م(دراسة في جغرافية المدن)** , المطبعة العربية لدار الفكر الاسلامي , الجزائر , 1972 ,ص 294

الملحق (2) .الجامع الجديد ..خيرة بن بلة ,مرجع سابق ,ص 598.

الملحق رقم (3) مسجد علي بتشين ..خيرة بن بلة ,مرجع سابق ,ص 676.

الملحق رقم (4): مسجد سفير ..خيرة بن بلة ,مرجع سابق ,ص 585.

الملحق (5) مدرسة سيدي الكتاني خيرة بن بلة,مرجع سابق ,ص 600.

الملحق (6) :مسجد سيدي الكتاني خيرة بن بلة .مرجع سابق ,ص 603

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

1) القران الكريم

2) ابن حمادوش عبد الرزاق الجزائري ، **رحلة ابن حمادوش المسماة على: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال** ، تحقيق أبو القاسم سعد الله : المؤسسة الوطنية للفتوة المطبعة بالجزائر، 1983 .

3) أحمد بن عمار، **مختارات مجهولة من الشعر العربي**، تق و تع: أبو القاسم سعد الله، ط01 ، دار العرب الإسلامي ، لبنان ، 1992.

4) أبن العنتري محمد صالح ، **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها** ، تح : يحي بوعزيز ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، 2009.

5) ابن سحنون ، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني** ، تح: البوعبدلي ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1973.

6) التلمساني ابن هطال ، **رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي الجزائري** ، تح:محمد بن عبد الكريم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 2004.

7) التمقروتي أبو الحسن علي ، **النفحة المسكية في السفارة التركية** .

8) الزهار أحمد ، **مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار(1830-1954م)**، تح: احمد توفيق المدني، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط02 ، 1980.

9) الجبرتي عبد الرحمن ، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار** ، تح : ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997.

10) الجزائري ابن ميمون ، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية** ، تح:محمد بن عبد الكريم ,ش,و,ن,ت ، الجزائر.

11) الحفناوي أبو القاسم محمد، **تعريف الخلف برجال السلف** ، ج2 ، تق:محمد رءوف موفوق للنشر الجزائر ، 1993 .

12) عياشي عبد الله ، **رحلة العايشي (ماء الموائد)** وضع فهاريسه: محمد حجي ، الرباط، طبعة حجرية ، ج 1 ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والشر،1977 .

13) الناصري أبوراس ، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار** .

14) الورثيلاني حسن ، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار** ، تح: محمد بن شنب ، مطبعة فونتانا ، الجزائر ، 1907.

المصادر الأجنبية:

1) Feraud(ch) ;**les anciens établissement Religieux Musulmans de Constantine ,in R.A** ,N 10.

2) Dr Shaw ,**Voyage dans la régence d'Alger**, trad. de l'Anglais par J.Mac ,carthy2eme ,Bouslama,Tunis.

المجلات :

1)العيد مسعود ، "**حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني** "**,سرتا** ، عدد 3 ،1980.

2) عبد الجليل التميمي ، "**من اجل كتابة تاريخ الجامع الأعظم بمدينة الجزائر**"**, المجلة التاريخية المغربية** ،عدد20- 19 ، 1980 .

3) بكوش محمد الصالح ، **دور المترجمين العسكريين الفرنسيين في الجيش الفرنسي بالجزائر** ، مجلة التاريخ ، عدد النصف الثاني من سنة 1982، الجزائر .

4) بونار رابح ، **الذكرى الألفية لتأسيس مدينة الجزائر الأصالة** ، عدد 8 ، 1972 .

5) عقون محمد العربي ، **الانثوغرافيا الاستعمارية "شارل فيرو نموذجا ",مجلة الإنسانيات** ، عدد 55 ، 2005 .

6) مغلي محمد البشير الهاشمي ، **التكوين الاقتصادي لنظام الوقف في الجزائر ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي** ، مجلة المصادر ، المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، عدد6 ، 2002 .

7) سعد الله أبو القاسم ، **أربع رسائل بين باشاوات الجزائر وعلماء عنابة** ، الثقافة ، الجزائر

8) سعيدوني نصر الدين ، **الأوقاف بفحص مدينة الجزائر** ، دراسات إنسانية ، عدد خاص بالوقف ، ماي 2001 .

9) سعيدوني نصر الدين ، **الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي** ، دراسات تاريخية ، عدد5 .

10) مزيان عبد الحميد ، **المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار** ، سرتا ، العدد 51 ، 1986.

11) فركوس صالح ، **الباي محمد الكبير ودوره في بعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب** ، الاصالة.

12) قشاعي فلة موساوي ، **أوقاف أهل الأندلس بمدينة الجزائر أثناء العهد العثماني** ، دراسات الإنسانية ، عدد خاص بالوقف ، ماي2001 .

13) قداش محفوظ ، **الجزائر في العهد التركي** ، الثقافة ، عدد 52 ، 1977 .

المراجع:

1)العسلي بسام ، **الجزائر والحملات الصليبية (1571.1791م)** ، ط2 ، دار النفائس ، بيروت .

2) الفيلالي محمد ، **نشأة المرابطين و الطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني** ، ط1 ، دار الفن القرافيكي ، الجزائر ، 1976.

3) الأمير عبد القادر ، **مذكرات** ، تح:بناني وآخرون ، دار الأمة ، الجزائر ، 1994 .

4) الترمذي محمد بن عيسى ، **سنن الترمذي** ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

5) الجيلالي عبد الرحمن ، **تاريخ الجزائر العام** ، ط6 ، دار الثقافة ، بيروت ، ج 3 ، 1983 .

6) الحكيم سعاد ،**المعجم الصوفي (الحكمة في حدود الكلمة)** ، ط 1، دندرة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1980 .

7) بالحميسي مولاي ، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني** ، ش .و.ن.ت ، 1979 .

8) حموش مصطفى ، **المدينة والسلطة في الاسلام** ، نموذج الجزائر في العهد العثممانى ، ط1 ، دار البائر ، دمشق ، 1999.

9) الميلي مبارك ، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث** ، تقديم محمد الميلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ج3 ، 1986.

10) المشيقيح خالد بن علي ، **الأوقاف في العصر الحديث** ، دار المعرفة ، بيروت .

11) الشافعي محمد ابن ادريس ، **الأم** ، دار المعرفة ، بيروت ،1393هـ .

12) مؤنس حسين ، **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح إلى الغزو الفرنسي** ، ج3 ، ط1 ، دار العصر الحديث ، بيروت ، 1992م .

13) مهدي محمد شعيب ، **أم حواضر في الماضي والحاضر** ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1980.

14) محمد سي يوسف ، **نظام التعليم في بلاد زواوة بايالة الجزائر خلال العهد العثماني (الحياة الفكرية في الولايات العربية)** ،ج 1 ، د د ن ، 1990.

15) مريوش أحمد ، **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني** ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحكة الوطنية ، الجزائر .

16) شريف يحي الأمين ، **معجم الفرق الإسلامية** ، دار الأضواء ، ط1 ، بيروت ، 1406هـ/1986م .

17) سعيدوني نصر الدين ، **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية** ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2001.

18) سعيدوني نصر الدين ، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (الفترة الحديثة والمعاصرة)** ، المؤسسة الوطنية للكتب ، الجزائر ، 1988.

19) سعيدوني نصر الدين ، **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800.1830)** ش .و.ن.ت ، الجزائر ، 1979 .

20) سعيدوني نصر الدين والمهدي البوعبدلي ، **الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)** ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 199 .

21) سعيدوني نصر الدين ، **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني** ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1999 .

22) سعيدوني نصرالدين ، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي** ، تراجم المؤرخين والرحالة والجغرافيين ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1999 .

23) سامي محمد نوار ، **الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من بطون المعاجم اللغوية** ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 2002.

24) المداني أحمد توفيق ، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492/1792م)** ، ش و ن ت ، دار البعث ، قسنطينة ، ط1 ، 1965 .

25) المدني أحمد توفيق ، **الدولة الجزائرية تدافع عن استقلالها من الجامعة العثمانية**، مجلة التاريخ ، المركز الوطني للدراسات التاريخية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981

26) شريف يحي الأمين ، **معجم الفرق الإسلامية** ، دار الأضواء ، ط1 ، بيروت ، 1406هـ/1986م .

27) خوجة حمدان ، **المرآة** : لمحة تاريخية وإحصائية للجزائر: تح وتع: محمد العربي الزبيري ، ش.و.ن.ت ، الجزائر ، 1975 .

28) جوليان شارل أندري ، **تاريخ افريقيا الشمالية** ، تع: محمد بن سلامة الدار التونسية النشر ، تونس ، 1978 .

29) عباس فرحات ، **ليل الاستعمار**، نقله إلى العربية أبو بكر الرحال ، مطبعة فضالة المحمدية ، المغرب، د.ت.

30) الزبيري العربي ، **التجارة الحارجية للشرق الجزائري قبل الاحتلال(1830-1972)** ، ط 02 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .

31) غانم محمد ، **التاريخ والمؤرخون في الجزائر خلال القرن الثامن عشر**، وحدة البحث في الانثربولوجيا الاجتماعية والثقافية ، جامعة وهران ، 1988 .

32) هلال عمار، **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الاسلامية فيمل بين القرنين التاسع والعشرين الملاديين(3-14هـ)** ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 199 .

33) الصديق محمد الصالح ، **أعلام من المغرب العربي** ، مؤسسة موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ج01 ، 2000 .

34) سعد الله أبو القاسم ، **شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون** ، داعية السلفية، دار الغرب الاسلامي بيروت ، 1986 .

35) سعد الله أبو القاسم ، **رسائل في التراث والثقافة (مراسلات الشيخ المهدي بو عبد اللي 1902- 1992** ، الجزائر، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ، ط،2010 .

36) سعد الله أبو القاسم ، **تاريخ الجزائر الثقافي (1800.1500م)** ، ج1 ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1989 .

37) سويدي جمال ، **الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر القديم (من القديم إلى 1830م)** ، تر:فايزة بوردوز، منشورات التل ، بليدة ، 2007.

38) العقبي مؤيد صلاح ، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر**، دار البصائر، 2009 .

39) ابو القاسم سعد الله ، **المفتي الجزائري ابن العنابي: رائد تجديد الاسلام (1775م/1830)** ، الجزائر ، الشركة الوطنية لنشر والتزيع ، 1977 .

40) بيك عبد الحميد ، **أعيان من المشارقة والمغاربة** ، تح و تع: أبو القاسم سعد الله ، بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ط 01 ، 200 .

المذكرات :

1)بن بلة خيرة ، **المنشات الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني** ، أطروحة دكتوراه ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2008.

2) بوغداده الأمير ، **المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني(القضاء أنموذجا)** ، أطروحة ماجستيرفي تاريخ الجزائر خلال العد العثماني ، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة ، 2008/2007 .

3) تلمساني بن يوسف ، **الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر(الحكم العثماني –الأمير عبد القادر –الإدارة الاستعمارية)** ، أطروحة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الجزائر ، 98/97.

4) شاطومحمد ، **نظرة المصادر الجزائرية إلى السلطة العثمانية في الجزائر** ، أطروحة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، قسم التاريخ ، 2006/2005 .

5) شوتيام أرزقي ، **المجتمع الجزائري وفعالياته خلال العهد العثماني** ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الجزائر ، قسم التاريخ ،2006/2005 .

6) قشي فاطمة الزهراء ، **قسنطينة المدينة والمجتمع** ، دكتوراه دولة ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة تونس الاولى ، 1998

فهرس المحتويات

العنـــــوان	ص
شكر وعرفان	
الإهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ
الفصل الأول : المؤسسات التعليمية	
أولا: المساجد والكتاتيب القرآنية ..... 07 ثانيا: الزوايا.....12 ثالثا: المدارس.....16 رابعا: المكتبات 18	
الفصل الثاني: العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية	
أولا: سياسيا .....23 ثانيا: اقتصاديا .....25 ثالثا: ثقافيا.....26 رابعا: دينيا ..... 32 خامسا : اجتماعيا 34	

الفصل الثالث: مساهمة الطبقة الحاكمة ومساهمتها في الحياة الثقافية	
أولا : بناء المراكز الثقافية والمساهمة في الوقف .....46 ثانيا : أشهر الحكام المشجعين للثقافة .....49 المطلب الأول : الداي محمد بكداش .....49 المطلب الثاني : صالح باي .....51 المطلب الثالث : الباي محمد الكبير 54	
الفصل الرابع :أهم علماء الجزائر خلال عهد الدايات	
أولا : أحمد بن عمار .....60 ثانيا : الحسين الورثلاني .....63 ثالثا :أبي راس الناصري .....66 رابعا : ابن العنابي 71	
خاتمة	78
الملاحق	80
قائمة المصادر والمراجع	88
فهرس المحتويات	97